مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 25، العدد (2)، ص ص 229 - 263، الرياض (2013م/ 1434هـ)

الحرب في اليهودية عرض ونقد

خالد بن محمد الشنيبر *

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في 26/ 02/ 1432هـ؛ وقبل للنشر في 02/ 07/ 1432هـ)

المستخلص: يهتم هذا البحث بتفصيل الموقف اليهودي من الحرب والموقف من غير اليهود، كما في نصوص كتبهم المقدسة في العهد القديم. كما يهدف إلى تفسير بعض المواقف اليهودية الحربية، واستيضاح أوامر كتبها المقدسة. وقد سلكت فيه المنهج الاستقرائي الاستنباطي. ومن أهم النتائج التي توصلت لها: أنه لا بد أن نفرق بين حديث القرآن عن جهاد أنبياء إسرائيل في سبيل الله، وبين ما يقصه علينا العهد القديم اليهودي، فالأول محل تصديق وإيمان كامل عند المسلمين، وأما الثاني فينطبق عليه الموقف من شريعة أهل الكتاب، كما يلاحظ - أيضاً - عدم وجود أوامر دينية للقوات الإسرائيلية؛ لعرض الدين على الشعوب الأخرى أثناء الحروب، لكن هذا لا يعني عدم قبول اليهود دخول الأمم الأخرى في دينهم، وأيضا فعروض السلام لا يمكن تطبيقها إلا على الأمم البعيدة من أرض إسرائيل، بخلاف القريبة التي تنص التعاليم على أن لا خيار لهم سوى الحرب أو القتل. ومن أهم توصيات البحث: أن تنحو دراسات مقارنة الأديان إلى البحث في جوانب الحياة المعاصرة، كقضايا السلام والحرب وغيرها من القضايا التي تُهم الرجل العادي، وليس المتدين فقط، كما توصي بجمع الفتاوى اليهودية المعاصرة في الموقف من غير اليهود، ومحاولة ربطها بالتعاليم الكتابية، لمعرفة مدى الالتزام اليهودي بتعاليم الكتب المقدسة عندهم.

الكلمات المفتاحية: اليهود، الحرب، السلام، الكتاب المقدس، العهد القديم.

War in Judaism: Exposition and Critiqu

Khaled Mohammed Al-shunyber *

King Saud University

(Received 30/01/2011; accepted for publication 04/06/2011.)

Abstract: This detailed research is concerned with understanding the Jewish position on war with non-Jews in the light of the Old Testament. It also aims to explain certain Jewish stances towards war, with particular clarification of Jewish commands. The research follows inductive and deductive approaches. Among the most important findings is that there is a distinction between the Qur'anic statements on the jihad done by the prophets of the Children of Israel for the sake of Allah on the one hand and the Old Testament statements on the other. The Qur'anic statements are faithfully accepted by Muslims, while those of the Old Testament are regarded along the same lines applicable to the jurisdiction of the "people of the book". Evidently, there are no religious instructions for the Israeli armed forces at war to invite whom they are fighting to embrace Judaism. However, that does not mean the Jews do not accept others to embrace their religion. There is also the option of peace; it applies only to nations that are far from the land of Israel, but not to countries nearby. Related written commands give no choice but armed conflict; it is either war or death. One of the main recommendations of this research is that comparative studies of religions discuss aspects of contemporary life, such as peace and war as well as other issues that concern ordinary people, who are not necessarily religious. The research recommends that contemporary Jewish religious views on the status of non-Jews be gathered and compared with written teachings in the Old Testament. This will help identify the compliance of Jews to their religious teachings.

Key words: Jews, war, peace, Old Testament, New Testament.

(*) أستاذ مشارك، قسم الثقافة الإسلامية،
كلية التربية، جامعة الملك سعود
الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (2458) الرمز (11451)

(*) Associate Professor, Department of Islamic Culture,
College of Education, King Saud University
Riyadh, KSA, p.o box:2458, Postal Code:11451

البريد الإلكتروني: e-mail: Khaled4288@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله أمانا وسلاما للعالمين، وبعد:

فقد أثار الحديث عن السلام العالمي الكثير من الإشكالات الدينية التي تحويها تعاليم الأديان الموجودة على الأرض. وتظهر الديانة اليهودية أحد أبرز الأديان في تقنينها مسائل الحرب، والموقف من غير اليهود. ونحن نحتاج إلى دراسة هذا الموضوع، وبخاصة في هذه الأزمنة التي كثر الحديث فيها عن السياسة الحربية الإسلامية، وما وُصمت به من تُهم وأكاذيب. إن استكشافنا للسياسة اليهودية يُعد أمرا ضروريا في معرض بيان تميز الإسلام الأخلاقي في فتوحاته الحربية، وأيضا بيان الخلفيات الدينية للتصرفات اليهودية المعاصرة في سياستها الحربية في الأراضي الفلسطينية.

ومن جهة أخرى، يمكن لنا أن نستكشف - بوضوح تام - السياسة الحربية الإسرائيلية من خلال الكتب المقدسة عندهم، والتي تحدثت كثيرا عن الحروب، حتى أضحت سمة من أبرز المعالم في أسفار العهد القديم، سواء بين بني إسرائيل وأعدائهم، أو فيما بينهم.

فسفر المزامير من أهم الأسفار الكتابية، عند اليهود، وفقراته لا تخلو من أحد مشتقات القتال، والقتل، والانتصار على الأعداء[1].

وأما أسفار: يشوع، والقضاة، فهي حربية صرفة، وأسفار الملوك: الأول، والثاني، وأخبار الأيام: الأول، والثاني، فليست منها ببعيدة، حيث إن كاتب هذه الأسفار ترى فيه صورة المؤرخ العسكري، فكثير من مضامينها يتعلق بالملك، والقتال عليه، ويمكن أن نسميها أسفار الحكومات الإسرائيلية الحربية.

ونحن في هذه الدراسة، سنحاول بناء السياسة الحربية من خلال التصرفات التي تُقرُّها الديانة اليهودية، سواء كانت بأمر الرب، أو من قِبَل أشخاص أثنى الرب عليهم خيرا، أو سكت عن أفعالهم.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة، وأربعة مباحث:

- **مقدمة.**
- **المبحث الأول: الحرب في اليهودية ودوافعها، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: نظرة إسلامية في الحرب اليهودية.
  - المطلب الثاني: هل كانت حروب اليهود هجومية أو دفاعية؟
  - المطلب الثالث: المبادئ التي تحكم الحروب اليهودية.

(1) راجع: مذكرات على سفر التثنية، لتشارلز ماكنتوش= =ص (228) (الهامش).

- **المبحث الثاني: خيارات الحرب في اليهودية، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: الدخول في الديانة ومدى وجوده .
  - المطلب الثاني: الاستسلام والعبودية مع دفع الجزية.
  - المطلب الثالث: القتل دون أي عرض سلام.
- **المبحث الثالث: جرائم الحرب والإبادات الجماعية والحماية للمدنيين، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: المفاهيم القانونية والتشريعات اليهودية.
  - المطلب الثاني: المنهج التطبيقي للإبادات الجماعية أثناء الحرب.
- **المبحث الرابع: أسرى الحرب.**

وختاماً: فإني أحمد الله على تيسير هذا البحث، وأخص بالشكر عمادة البحث العلمي في جامعة الملك سعود على دعمها هذا البحث وغيره من البحوث.

***

المبحث الأول

الحرب في اليهودية ودوافعها

قبل الخوض في الحرب اليهودية، لابد من تحري الواقع الحقيقي لظروف تلك الحروب، وأيضا الفهم الجيد للنص، وليس مجرد قراءة عابرة للنصوص اليهودية المقدسة، ثم نستخرج منها بعد ذلك الأسباب والخصائص بناء على حوادث قد تكون فردية، أو حصلت مرة واحدة، أو أن يكون فهم النص من غير إلمام بالخلفية التاريخية له، والحيثية التي سيقت فيه. كما أن النظرة السائدة عن الحرب اليهودية وموقفها من غير اليهود، يجب ألا تؤثر في منجهية البحوث العلمية، ولا تدفعنا لاستخراج كل ما هو ضد اليهود من غير فهم دقيق للنصوص ومرادها، بل لا بد من العدل مع كل أحد، وأن يكون الهدف الوصول للحقيقة.

المطلب الأول: نظرة إسلامية في الحرب اليهودية.

قبل أن ننطلق في الحديث عن الحرب اليهودية لا بد أن نعلم أن حديثنا هنا حول الحروب الواردة في العهد القديم اليهودي، بناء على إيمان اليهود بقداسته، وبغض النظر عن موقف المسلمين من ثبوت النصوص أو عدم ذلك. فنحن هنا لن نناقش مسألة ثبوت هذه الأحداث، أو حتى ثبوت نصوص العهد القديم، بل نتعامل معها على أنها كتب مقدسة عند أصحابها.

إذا تقرر ما سبق - وبعيدا عن الإشكالات السياسية المعاصرة - فإن نظرة الإسلام للحرب اليهودية التي جاءت في الشريعة الصحيحة، والتي جاء بها موسى، ويشوع عليهما السلام ومن بعدهم من أنبياء بني إسرائيل؛ أنها كانت حربا مقدسة في سبيل الله، والقرآن الكريم جاء بذكر عدد من المواضع التي تحدثت عن

الجهاد الإسرائيلي في زمن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111).

في القرآن الكريم تلك القصة المؤثرة للملك الإسرائيلي «طالوت» والمسمى في التوراة بـ «شاول»[2]، حيث يذكر القرآن عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (البقرة:246).

وبغض النظر عن فروق التفاصيل بين وصف القرآن ووصف التوراة؛ فإننا نريد هنا أن نبين أن القتال في سبيل الله كان مشروعا في الديانة اليهودية، أيضا[3].

وفي حديث نبوي، يقول فيه نبي الإسلام ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء... فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا. فحبست، حتى فتح الله عليه)[4].

وهذا النبي جاء مبينا في رواية أخرى: (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس)[5].

وفي الجملة، هذا اعتقاد المسلمين في اليهود وحربهم. وما سنتكلم عنه في هذا البحث ليس هو ما

(2) شاول بن قيس (الملك شاول): من سبط بنيامين، وهو أول ملوك بني إسرائيل بعد زمن القضاة، وجاء شيوخ إسرائيل إلى صموئيل النبي، طالبين تغيير نظام الحكم، فطلبوا منه أن يُعيّن لهم ملكاً كسائر الأمم المجاورة، فمسحه النبي ملكا على بني إسرائيل، وكان حسن السيرة، مرضيا عند الرب، لكن تبدل حاله آخر أمره، واستولى عليه روح نجس وجنوني حسب الروايات التوراتية. وعيّن داود ملكاً على بني إسرائيل. وقُتل شاول في إحدى المعارك. راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة (شاول).

نشير هنا إلى أن هناك شخصية مشهورة جدا في العهد الجديد تختلف عن هذه، ولها نفس الاسم، وهو شاول اليهودي، المسمى: بولس الرسول، آمن بالمسيح، ويُعد أعظم الشخصيات في المسيحية، بعد المسيح.

(3) هذه القصة القرآنية عن طالوت توردها التوراة على أنها قصة لجدعون أحد قضاة إسرائيل المجاهدين [قضاة: 7]، فهل يمكن أن نعد ذلك من الاضطرابات في نصوص العهد القديم، أو أن هذه الطريقة في امتحان الجيش كانت رائجة في الزمن الإسرائيلي، وتقدم كاختبار للجنود في بعض الأزمان؟

(4) صحيح البخاري (2956)، وصحيح مسلم (1737).

(5) مسند أحمد (2/ 235)، وصححه ابن حجر في فتح الباري (6/ 221).

والنص كما في سفر يشوع، ويظهر منه بعض الفروق: «12 ثُمَّ كلَّمَ يَشوعُ الرّبَّ يومَ سلَّمَ الرّبُّ الأموريِّينَ إلى بَني إسرائيلَ، فقالَ على مشهَدٍ مِنْ بَني إسرائيلَ: يا شمسُ قِفي على جبعونَ وعلى وادي أيلُونَ اَثبُتْ يا قمرُ 13 فتوقَّفَتِ الشَّمسُ، وثبَتَ القمرُ إلى أنِ انتَقَمَ الشَّعبُ مِنْ أعدائِهِم، وذلِكَ مكتوبٌ في كتابِ ياشَرَ. فتَوَقَّفَتِ الشَّمسُ في أعلى السَّماءِ، ولم تَغِبْ مُدَّةَ يومٍ كامِلٍ» يشوع 10.

نوقن بأنه من كتاب الله الذي نزل عليهم، بل نناقشه من باب إيمانهم به.

إن تلك النظريات الحربية الكثيرة، وتلك الحروب الطاحنة الموجودة في كتب اليهود المقدسة، أصبحت لافتة بشكل كبير، بل أصبحت تُسبب قلقا كبيرا حتى للمسيحي الذي يؤمن بكون العهد القديم كلمة الله، الأمر الذي جعل بعضهم لا يستطيع أن يُخفي مشاعره تجاه ذلك؛ لذا نجد الأب المسيحي «سمير بشارة اليسوعي»، وهو يتحدث عن العهد القديم يثير مثل هذه القضايا، فيقول: «يتضمّن العهد القديم أكثر من ستمائة مقطع نرى فيها شعوباً وملوكاً وأشخاصاً يدمر بعضهم بعضاً ويتنازعون. كما أننا نرى إله العبرانيين خاصة يأمر أكثر من مرة بالمجازر، ويشجع على الحرب، فيسبّب غضبه أكثر من ألف مرة الدمار أو الانتقام. إنّ عدد المصطلحات المرادفة للعنف يبلغ المائة تقريباً في الكتاب المقدس كلّه، فنستطيع القول دون مبالغة بأن موضوع العنف يشكل أحد المحاور الرئيسة في الكتاب المقدس...

لم يتم احتلال أرض كنعان دون عنف، أو تدخل عسكري، ومجازر [يشوع 10: 4] أما الحكم الملكي، فيحلّ فيه النظام العسكري، ويشنّ داود الملك حروباً، هدفها الانتشار، وتثبيت الحدود...»[6].

المطلب الثاني: هل كانت حروب اليهود هجومية أو دفاعية؟

في البداية لا بد أن نعلم أن النظرة اليهودية - كما في كتبها المقدسة - لا تحتوي على مزيد حديث حول السلام مع الأمم الأخرى، وإنما تجعل من الصعب جدا عقد معاهدات مع الأمم غير اليهودية.

وكما هو معلوم أن بني إسرائيل كانوا يعيشون في مصر تحت التسلط الفرعوني، ثم هاجروا إلى أرض فلسطين، في قصة يحكيها بتفاصيل دقيقة «سفر الخروج»، الذي تأتي فيه الأوامر الإلهية للهجرة من أجل الأرض الجديدة لإسرائيل، [3 تِلكَ الأرض التي تَفيضُ لَبَنًا وعسَلاً] خروج 33.

وهنا بدأت المعارك الإسرائيلية «الهجومية» مع أصحاب تلك الأرض. ومع كثرة ما تحدث العهد القديم عن تلك المعارك؛ فإنك لن تجد فيها إلا الحرب الهجومية التي تستبعد أي عملية للصلح مع أصحاب تلك الأرض، وتمنع أية محاولة تكوّن مجتمعا، يوجد فيه أكثر من ديانة: [27والرُّعبُ مِني أُرسِلُهُ أمامَكُم، وأهزِمُ جميعَ الأُمَمِ التي تُواجهونَها، وأجعَلُ جميعَ أعدائِكُم يُولونَ مُدْبِرينَ. 28وأُرسِلُ الذُّعْرَ أمامَكُم فتَطرُدونَ الحوِّيِّينَ والكنعَانيِّينَ والحِثِّيِّينَ مِنْ وُجوهِكُم... 31وأجعَلُ حُدودَ أرضِكُم مِنَ

(6) محاضرة: هل من عنف في الكتاب المقدس؟ تحت عنوان: العنف في العهد القديم، للأب سمير بشارة اليسوعي، «ضمن= =كتاب: وجه الإنسان وكلام الله، بعناية الخوري بولس الفغالي».

البحرِ الأحمرِ جنوبًا إلى البحرِ المُتوسّطِ غَربًا، ومِنَ الصَّحراءِ شَرقًا إلى نهرِ الفُراتِ شَمالاً، وأُسلِمُ إلى أيديكُم سُكَّانَ الأرضِ فتَطرُدونَهُم مِنْ أمامِ وُجوهِكُم. 32لا تقطَعُوا لهُم ولا لآلِهَتِهِم عَهدًا. 33ولا يُقيموا في أرضِكُم لِئلاَ يجعلوكُم تُخطَأونَ إليَّ، فتَعبُدونَ آلِهَتَهُم] خروج: 23.

يتحدث «معجم اللاهوت الكتابي» عن تصوير فكرة الحرب في العهد القديم، بأن التطلعات التي أتاحها عهد سيناء ليست تطلعات سلام، وإنما تقوم على قتال. فالله يعطي شعبه وطناً، ولكن على هذا الشعب أن يغزوه غزواً [خروج 23: 27- 33]. إنها حرب هجومية، وهي مقدسة، ولها ما يبررها في تطلعات العهد القديم: كنعان بحضارته الفاسدة، المقرونة بعبادةٍ لقوى الطبيعة، يُشكل فخاً لإسرائيل [تثنية 7: 3- 4]، ولذا يوافق الله على إفنائه [تثنية 7: 1- 2]. وهكذا ستصبح حروب إسرائيل القومية حروب الله، ويقع الحرم [الإبادة] على ما تسفر عنه من غنيمة [يشوع 6]. وأكثر من ذلك، فإن الله بإنشائه إسرائيل في التاريخ إنما يقيم ملكه الخاص في هذه الدنيا، عن طريق شعب يرتب له عبادة، ويحفظ شريعته. وإسرائيل بدفاعه عن استقلاله ضد المعتدين عليه من الخارج؛ إنما يدافع في الوقت نفسه عن حق الله، وكل قتال دفاعي هو أيضا حرب الله[7].

إن الدارس لنصوص العهد القديم ليجد فيها - بوضوح تام - فكرة الحروب الهجومية، وكما يقول «معجم اللاهوت» أيضا: «وهكذا يختبر إسرائيل خلال قرون، حياة حرب، حيث يسخر الحماية القومية في خدمة قضية دينية. حروب هجومية ضد سيحون وعوج، ثم غزو كنعان بواسطة يشوع. ثم حروب دفاعية ضد مدين وضد طغاة عهد القضاة [أقول: وهذه في الحقيقة حرب هجومية] وحرب تحرير قومي، مع شاول وداود [وهي أيضا من قبيل الحرب الهجومية، لكن تختلف الحيثيات]»[8].

وقضية الحرب الهجومية في الحروب الإسرائيلية لا تحتاج إلى زيادة تتبع، بل بمجرد القراءة في كتب العهد القديم، التي أرّخت للحروب الإسرائيلية بشكل دقيق، تجد أن صفة الهجومية واضحة تماماً.

المطلب الثالث: المبادئ التي تحكم الحروب اليهودية.

المبدأ الأول: الحرب على الوثنية.

الحرب على الوثنية من المبادئ المهمة والشريفة في الحروب الإسرائيلية؛ لأنها أكبر انحراف عن طريق الرب، ولذا تأتي الأوامر التوراتية صريحة في ذلك: [24... أزيلوهُم وحَطِّموا أصنامَهُم] خروج 23.

ويؤكد الأمر مرارا: [13بلِ اَهدِموا مذَابِحَهُم وحطِّموا أصنامَهُم، واَقطَعوا غاباتِهِم المُقدَّسَةَ لآلِهتِهِم]

(7) معجم اللاهوت الكتابي، مادة (حرب)، ثانياً: إسرائيل في خدمة حروب الله.

(8) المصدر السابق، مادة (حرب).

خروج 34، ونحوه [تثنية 7: 5، و7: 25، و12: 2-3، قضاة 2: 2].

وهذه النصوص نجدها كثيرة في الكتب اليهودية؛ **إلا أننا لا نكاد نجد - مع ذلك - الدعوة إلى أن يكون هذا القتال ابتغاء وجه الله، وليس فيه من أهداف الدين شيء**، وأهم من ذلك لا نجد في **العهد القديم** - على ضخامته، وكثرة صفحاته، وامتلائه بالقصص الحربية والغزوات المتعددة - لا نكاد نجد **الأمر لدعوة الأمم المغلوبة إلى طريق الهداية**، بل ولا نجد أي تأثيرات، ولو من خلال النصوص، لتغيير المجتمعات من الوثنية إلى التوحيد، وهذا أمر يثير العجب[9]!

ولكن الطريقة التي كانت تأمر بها الكتب اليهودية المقدسة في قتال «الكفار الوثنيين» كانت تقوم على سياسة القتل الجماعي، أو ما يُسمى بـ «الإبادة الجماعية» لكل أصحاب الأرض، وكما تُعبر التوراة: [16 وأَمَّا مُدُنُ هؤلاءِ الأُمَمِ التي يُعطيها لكُمُ الرّبُّ إلهُكُم مُلْكًا، فلا تُبقوا أحدًا مِنها حيا 17 بل تُحَلِّلونَ إبادَتَهُم، وهُمُ الحِثِّيّونَ والأموريُّونَ والكنعانِيُّونَ والفِرِّزِيُّونَ والحوِّيُّونَ واليَبوسيُّونَ، كما أمركُمُ الرّبُّ إلهُكُم 18 لِئلاَ يُعَلِّموكُم أنْ تفعَلوا الرَّجاساتِ التي يفعَلونَها في عِبادَةِ آلِهَتِهم فتَخطَأوا إلى الرّبِّ إلهِكُم] تثنية 20.

(9) سيأتي مزيد دراسة لهذه النقطة في: المبحث الثاني، المطلب الأول: الدخول في الديانة.

ويتحدث البعض عن «تبريرات» لهذه المذابح الكبيرة[10]، بأن المدن الواقعة داخل حدود أرض كنعان - كما يعبر بعض اللاهوتيين - تمثل خطرا أعظم على أمن إسرائيل، وحريتها السياسية، واستقلالها الديني[11].

لقد طلبت شريعة العهد القديم - في سبيل المحافظة على عبادة الرب والحرب على الوثنية - إفناء جميع شعوب كنعان - وكما يذكر الخوري: «بولس الفغالي» - لأجل أن ذلك يقطع [الطريق على كل محاولة عبادة أوثان أو ديانة تلفيقيّة تمزج عبادة الله بعبادة البعل [أشهر الآلهة الكنعانية]، حينئذ صار الحرم [الإفناء]

(10) سيأتي مزيد تفصيل وبيان للسياسة الحربية الإسرائيلية في واقعها العملي، وموقفها من الشعوب في: المبحث الثالث: المنهج التطبيقي للإبادات الجماعية أثناء الحرب. والتعليقات هنا هي لشرّاح مسيحيين للكتاب المقدس، وآراء هؤلاء الشرّاح مضطربة في الموقف من هذه المذابح، حيث يرى البعض أنها منسوخة بديانة المسيح المتسامحة، وأن تلك المذابح «الوحشية» ليس لها اعتبار بعد المسيح، والبعض ما يزال يُدافع عنها بصراحة. وفي ظني أن هذه الطائفة متوائمة مع إيمانها بالعهد القديم. بمعنى أنها تؤمن بأن الآمر لهذه المذابح هو الله، فكيف يتم انتقاده!

راجع: التفسير الحديث للكتاب المقدس، سفر التثنية، لطومسون ص (285 - 286)، من تفسير وتأملات الآباء الأولين: صموئيل الأول، القمص: تادرس يعقوب ص (103).

(11) راجع: التفسير الحديث للكتاب المقدس: سفر التثنية ص (285 - 286).

وسيلة للمحافظة على نقاوة الإيمان. وقدّم كاتب يشوع بطله كمنفّذ أمين لهذا الأمر الإلهي... وفي النهاية، بدت الحرب المقدّسة بشكل جوهريّ كموضوع ديني في الحرب من أجل المحافظة على نقاوة الديانة في إسرائيل][12].

وأيضاً مما يلفت النظر هنا أن هذه الحرب على الوثنية في النصوص اليهودية المقدسة مرتبطة بالقضاء على أهل الأرض، أو على الأقل طردهم. وعادة ما يأتي الربط بين القضاء على الوثنية، والقضاء على الوثنيين أنفسهم، وعندما نرجع إلى النصوص التوراتية الكثيرة لشرح أسباب القتال، يلفت نظر القارئ للروايات التوراتية «تلك الرابطة العضوية بين الوعد الإلهي بالأرض، والأوامر الواضحة بإفناء السكان المحليين»[13]، وهو الأمر الذي سيتبين قريبا.

المبدأ الثاني: امتلاك أرض الموعد وطرد، أو (قتل) سكانها الأصليين:

هناك ربط واضح بين القضاء على الوثنية وامتلاك الأرض التي يرى اليهود أن الله ملكهم إياها.

وكما أشرت قبل قليل، لم يكن هناك أوامر بدعوة السكان إلى الحق وإنقاذهم من وثنيتهم، بل لا تجد إلا تلك الأوامر بطردهم، وقتلهم جميعا.

ويرى اليهود أن هذا التمليك جاء من عند الله، وقد بدأت هذه العقيدة من عهد إبراهيم عليه السلام عندما قطع الرب معه عهدا مؤبدا على ذلك: [8وأُعطيكَ أَنتَ ونسلَكَ مِنْ بَعدِكَ أرضَ غُربَتِكَ، كُلَ أرضِ كنعانَ، مُلْكًا مؤبَّدًا وأكونُ لهُم إلهًا] تكوين 17، ونحوه في: [تكوين 12: 7، و15: 18-20].

وهو الأمر عينه الذي قطعه الله لإسحاق حيث طلب منه الرب الجلوس في أرض فلسطين [تكوين 26: 3]، وأيضا أُعطي ليعقوب [تكوين 35: 12]. والنصوص في اصطفاء نسل إبراهيم عليه السلام وتمليك نسله أرض كنعان، متعددة، وتوجد في مواطن عديدة من الكتاب المقدس [مزامير 105: 9-11]، بل وشملت العهد الجديد [أعمال 7: 5].

وهذه النصوص يرى فيها اليهود دلالة واضحة على امتلاكهم الأرض الموعودة، وهذه النظرة يزعمون أنها تخولهم - بلا شك - طرد الأمم الأخرى؛ إذ يرون أنهم ملكوها بعقد وبأمر من الله: [31وأجعَلُ حُدودَ أرضِكُم مِنَ البحرِ الأحمرِ جنوبًا إلى البحرِ المُتوسّطِ غَربًا، ومِنَ الصَّحراءِ شَرقًا إلى نهرِ الفُراتِ شَمالاً، وأُسلِمُ إلى أيديكُم سُكَّانَ الأرضِ فتَطرُدونَهُم مِنْ أمامِ وُجوهِكُم.

(12) راجع: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، للخوري بولس الفغالي، مادة (حرم). وراجع أيضاً: وحي الكتاب المقدس، يوسف رياض ص (276).

(13) قراءة أخلاقية للكتاب المقدس، مايكل بربيور، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر الدولي لتاريخ أورشليم، عمان/ الأردن أكتوبر 2001، ترجمة: فراس السواح.

32لا تقطَعُوا لهُم ولا لآلِهَتِهِم عَهدًا. 33ولا يُقيموا في أرضِكُم لِئلاَ يجعلوكُم تَخطَأونَ إليَ، فتَعبُدونَ آلِهَتَهُم ويكُونُ ذلِكَ لَكُم شَرَكًا] خروج: 23، ونحوه في: [عدد 33: 51-52، تثنية 4: 38].

ويتضح المراد بـ «الطرد» في نص آخر يوضح أنه القتل: [1وإذا أدخلَكُمُ الرّبُّ إلهُكُم الأرضَ التي أنتُم مُزمِعونَ أنْ تمتلِكوها، وطَردَ أُمَمًا كثيرةً مِنْ أمامِكُم كالحِثِّيِّينَ والجرجاشِيِّين والأموريِّينَ والكنعانيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ والحَوِّيِّينَ واليَبوسيِّينَ، وهُم سَبعةُ شُعوبٍ، أعظمُ وأكثرُ مِنكُم، 2وأسلَمَهُم إلى أيديكُم وضَربتموهُم، فاَجعَلوهُم مُحَرَّمينَ علَيكُم. لا تقطَعوا مَعهُم عَهدًا، ولا تَتَحنَّنُوا علَيهِم] تثنية 7، ونحوه في: [خروج 34: 24].

وهكذا نرى الرابطة المهمة بين اعتقاد اليهود امتلاكهم أرض فلسطين وبين تلك الأوامر المتوافرة بطرد السكان الأصليين. وهذا اللفظ «الطرد» بحسب بعض التعابير التوراتية، والحقيقة أن التعبير الأكثر استعمالا هو تحريم «إبادة» جميع سكان أهل تلك الأرض، كما تطلب التعاليم التوراتية المتعددة، وكما مر معنا قبل قليل في المبدأ الأول[14].

(14) سيأتي عرض الجانب التطبيقي لهذه الأوامر بشكل مفصل، في المبحث الثالث، المطلب الثاني: المنهج التطبيقي للإبادات الجماعية أثناء الحرب. =

= ويبدو أن عقيدة «أرض الموعد» ما زالت تحتل أهمية كبرى في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ويُطلق عليها أيضا «الأرض المُستردّة»، وفي هذا يقول الإسرائيلي العلماني - إسرائيل شاحاك -: «تذيع إسرائيل بين مواطنيها اليهود عقيدة تمييزية في شأن استرداد الأرض، والهدف الرسمي الرامي إلى تقليص عدد غير اليهود يمكن ملاحظته في هذه العقيدة التي تُغرس في أذهان الطلاب في المدارس اليهودية في إسرائيل، الذين يُعلمون أنها تنطبق على كل أرض إسرائيل.

وبموجب هذه العقيدة؛ - الأرض المستردة -: هي تلك التي انتقلت ملكيتها من غير اليهود إلى اليهود، ويمكن أن تكون ملكية خاصة أو ملك الصندوق القومي اليهودي أو الدولة اليهودية. أما الأرض العائدة لغير اليهود فهي على العكس، أرض غير مستردة... والنتيجة المنطقية لهذه العقيدة هي طرد - ويدعى، أيضا، نقل - كل غير اليهود من الأراضي المستردة، وبذلك تكون يوتوبيا - العقيدة اليهودية - التي تعتمدها دولة إسرائيل أرضا مستردة بكاملها، لا يملك غير اليهود شيئا منها، ولا يعملون فيها. وقد عبر قادة حركة العمل الصهيوني عن هذه الفكرة البغيضة بوضوح كامل... [ثم يشير شاحاك إلى بن غوريون، ويقول عنه]... حتى أعلن في الكنيست -رغم إلحاده وتفاخره بتجاهل تعاليم الديانة اليهودية- أن السبب الحقيقي هو: إعادة مملكة داود وسليمان إلى حدودها التوراتية. وعند هذه النقطة من خطابه وقف كل أعضاء الكنيست تقريبا، وأخذوا ينشدون النشيد الوطني الإسرائيلي. ولم يستنكر أي سياسي صهيوني حسب معلوماتي فكرة بن غوريون القائلة بوجوب وضع السياسات الإسرائيلية - ضمن حدود الاعتبارات العملية - على أساس إعادة الحدود التوراتية؛ لتصبح حدودا للدولة اليهودية.

وبالفعل، فالتحليل الدقيق للإستراتيجيات الإسرائيلية الكبرى والمبادئ الحقيقة للسياسة الخارجية - كما يُعبر عنها بالعبرية -=

=توضح أن الإيديولوجيا اليهودية هي التي تحدد السياسات الإسرائيلية الفعلية أكثر من أي عامل آخر، وتجاهل اليهودية في حقيقتها والإيديولوجيا اليهودية يجعل هذه السياسات تبدو عصيّة على الفهم لدى المراقبين الأجانب الذين لا يعرفون في العادة شيئا عن اليهودية سوى التبريرات الفجة». التاريخ اليهودي الديانة اليهودية، إسرائيل شاحاك ص (16) وما بعدها.

** ولكن يبقى هناك مشكلة كبيرة متعلقة بإحساس اليهود بامتلاكهم الأرض المقدسة في فلسطين، وهي عقيدة المنفى والشتات، ومن ثم العودة إلى الأرض المملوكة لهم. «وتشكل عقيدة المَنْفَى والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهي ترتبط - مثل كل العقائد الدينية اليهودية - بعقائد أخرى، مثل عقيدة الماشيَّح، والشعب المختار. وحسب هذه العقيدة، فإن إله اليهود حَكَم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في تحديده... وقد حار المفسرون اليهود في تفسير عقيدة وظاهرة النفي هذه، والتي لا تتفق مع كونهم الشعب المختار. ولذلك فُسِّر النفي بأنه إحدى علامات التميُّز والاختيار. فاليهود الذين تقطن الشخيناه في وسطهم، والذين يقطنون بدورهم وسط الأغيار، لا يحملون أوزارهم وحدهم، وإنما يحملون أيضاً أوزار الأمم كافة. ولذلك، فإنهم بمثابة المشحاء -جمع «ماشيَّح» - المصلوبين من أجل البشر، وهم بمثابة الروح التي تُوجَد في المادة. وبالتالي، فإن نفيهم تمهيد لخلاص البشر. وهكذا يصبح النفي عقوبةً على الذنوب، وعلامةً من علامات التميز في آن واحد. وحينما يَحلُّ اليوم الموعود، سيأتي الماشيَّح، ويقود شعبه، ويعود به إلى الأرض المقدَّسة. ولكن بعض الحاخامات ذهبوا إلى أن المَنْفَى والشتات عقاب حَلَّ على اليهود بسبب تَركْهم طُرُق الرب وبسبب تأغرقهم. ويذهب المسيحيون إلى أن الشتات عقاب لليهود= =على إنكارهم المسيح عيسى بن مريم... ولكن الموقف الديني التقليدي من المَنْفَى والعودة ليس واضحاً ولا قاطعاً. فعلى سبيل المثال، أكد الحاخامات أن محاولة العودة الفردية والفعلية، دون انتظار مقدم الماشيَّح، هو من قبيل التجديف والهرطقة، ومن قبيل «دحيكات هاكتس» أي: «التعجيل بالنهاية»، أو من قبيل تَحدِّي الإرادة الإلهية. وقد عارض بعض اليهود الأرثوذكس الحركة الصهيونية بالفعل؛ لأنها عودة مشيحانية دون ماشيَّح. بل إن هناك أوامر قاطعة في التلمود بألا يترك اليهودي بلده أو منفاه ليعود إلى بابل؛ لأن من يعيش في بابل كأنه يعيش في أرض يسرائيل. وجاء في موضع آخر: «صلوا لسلامة الدولة، فلولا خوف الناس منها لابتلع بعضهم بعضاً». وقد أكد أحد الحاخامات أن مبدأ أو عقيدة العودة إلى فلسطين لا تُوجَد أية إشارة إليها في كافة المحاولات التي تمت في العصور الوسطى لصياغة عقيدة يهودية. وقد نادى دعاة حركة التنوير اليهودية بأن المَنْفَى واقع مؤلم ومؤقت يجب أن يزول عن طريق الاندماج. أما العودة إلى صهيون، فهي مجرد فكرة روحية، وليست رغبة حرفية. وقد حذفت «اليهودية الإصلاحية» الصلوات التي تُذكِّر اليهود بصهيون، ولكن تُوجَد في «اليهودية الحاخامية»، وفي التلمود نصوص ومواقف يُفهم منها أن هناك ضرباً من التَقبُّل أو التأييد لفكرة إنهاء المَنْفَى والعودة. وقد ذكر بعض الحاخامات أن كل يهودي يتعيَّن عليه أن يوّد - في قلبه - العودة إلى الأرض، فإن لم يتمكن من العودة فعليه أن يساعد - على الأقل - في إرسال يهودي آخر، أي أن كلاً من الصهيونية الاستيطانية والصهيونية التوطينية كامنتان في النسق الديني اليهودي ذي الطبيعة الجيولوجية التراكمية. وعلى وجه العموم، يمكن القول بأن أعضاء الجماعات اليهودية قد قبلوا وجودهم في الأوطان التي كانوا يعيشون فيها، وأن الحديث عن المَنْفَى أصبح جزءاً من الخطاب الديني، وأصبحت العودة تَطلُّعاً دينياً وتعبيراً عن حب صهيون، أي تعبيراً عن=

=التَعلُّق الديني بالأرض المقدَّسة، وهو تَعلُّق ذو طبيعة مجازية، لا يترجم نفسه إلى عودة حرفية إلى فلسطين، حتى وإن خلق استعداداً كامناً لذلك. ولكن، مع بدايات العصر الحديث والحركة الإمبريالية، وظهور الفكر الوضعي والتجريبي والنماذج المادية العلمانية المعرفية، وتفسيرات العهد القديم الحلولية والحرفية، بدأ يظهر في صفوف المسيحيين البروتستانت فكر استرجاعي قوي تَرَك أثراً عميقاً في الجماعات اليهودية في أوربا، وبدأت تظهر حركات مشيحانية تهدف إلى تحويل فكرة العودة من تَطلُّع ديني مجازي إلى عودة فعلية، أي: إلى استيطان. وقد تدعمت الفكرة مع ظهور الفكر القومي الغربي، والتعريفات العرْقية للإنسان. ومع تَصاعُد الحركة الإمبريالية، بدأت الأفكار الصهيونية تتغلغل بين اليهود، خصوصاً وأن هذا قد تَزامَن مع ضعف اليهودية الحاخامية الأرثوذكسية التي تَقبَّلت المَنْفَى كحالة نهائية. وأخيراً، ظهرت الصهيونية بين اليهود في أواخر القرن التاسع عشر، وأخذت من التراث الديني اليهودي ما يتفق مع أهوائها السياسية، واستولت على الخطاب الديني، وحوَّلت كل المفاهيم الدينية المجازية إلى مفاهيم قومية حرفية.

وطرحت الصهيونية رؤية للتاريخ تَصدُر عن تَصوُّر أن اليهود في حالة نفي قسرية فعلية منذ هَدْم الهيكل، وأنهم لو تُركوا وشأنهم لعادوا إلى فلسطين بدون تَردُّد». موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (2/ 130).

ويبدوا أن فكرة أرض الميعاد في تقريرها الحقيقي ليست محل اتفاق بين الجماعات اليهودية، وتظهر فيها التأويلات المختلفة. ولذا ظهرت فكرة «تجميع المنفيين» وكما يقول الدكتور المسيري: هو مصطلح ديني تبنته الصهيونية، يشير إلى فكرة عودة كل أعضاء الجماعات اليهودية المنفيين أو المنتشرين في أنحاء العالم إلى فلسطين وتجميعهم هناك. لكن تجميع المنفيين – حسب التصور اليهودي الأرثوذكسي التقليدي – هو مثل أعلى ديني= =لا يتحقق إلا بعد عودة الماشيح، كما لا يتحقق إلا بإرادة الإله، وعلى المؤمن أن ينتظر بصبر وأناة إلى أن يأذن الإله بذلك. ولكن الصهيونية، كعادتها، فهمت الفكرة فهما حرفيا، وجعلتها أساس عقيدتها السياسية، وجعلت من واجب اليهودي ألا ينتظر الإرادة الإلهية، بل يعمل من أجل هذا الهدف بنفسه، وهو ما يسمى «التعجيل بالنهاية». وأصبحت العبارة تعني استيطان اليهود في فلسطين – إسرائيل –. ورغم كل المحاولات الصهيونية الدائبة، لم يتحقق هذا الهدف حتى الآن، إذ تظل غالبية من يقال لهم المنفيون من أعضاء الشعب اليهودي لا تشعر بحالة النفي الافتراضية، ومن ثم، فإنهم يؤثرون البقاء في أوطانهم على العودة إلى أرض الميعاد.

واليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله، وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلا يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء في التلمود – سفر الكتبوت –: [لا تعودوا ولا تحاولوا أن ترغموا الإله].

وقد اتهم «الحاخامات» الصهيونية بأنها تسعى إلى التعجيل بالنهاية وتحدي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية. ولذا ظهر هناك دعوات لبداية الخلاص اليهودي وهي محاولة تستهدف تجاوز المفهوم التلمودي الذي يحرم على اليهود العودة إلى أرض الميعاد ويفرض عليهم انتظار وصول الماشيح بمشيئة الإله. والخلاص عند اليهودية الحاخامية تقوم على مسلسل كالتالي: نفي ثم انتظار ثم عودة الماشيح ثم عودة اليهود معه أو تحت قيادته.

ولكن، بعد صهينة اليهودية، بدأت قطاعات داخل اليهودية الأرثوذكسية ذاتها تحاول أن تصل إلى تفاهم مع الصهيونية، فعدلت المتتالية إلى ما يلي: نفي ثم عودة بعض اليهود للإعداد للخلاص، ثم عودة الماشيح، ثم عودة اليهود. وبالتالي، فإن=

ومع أن القرآن يرى أن الخروج من مصر إلى فلسطين كان بأمر الله، وأن الله اصطفى الشعب الإسرائيلي بجعله حاملا الرسالة الإلهية، إلا أن القرآن الكريم يعترض على فكرة امتلاك أرض معينة لشعب معين. ومع أنه يحتفي بالدين الحق «الإسلام»، ويبطل ما سواه؛ إلا أننا لا نجد فيه تحديد أرض معينة لقوم معينين.

والقرآن الكريم عندما يعرض قصة بني إسرائيل فإنما يعرضها؛ لكونهم حاملي لواء دين الله، وأن الله أمرهم بالجهاد لدخول فلسطين: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:20 - 21).

وقال - تعالى -: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: 128 - 129).

فالقرآن يبين الرسالة الإلهية التي جعلت بني إسرائيل خلفاء على الأرض؛ ليرى الله فيهم طاعته ونشر دعوته، ومع كثرة ثناء القرآن على أنبياء إسرائيل، فإننا نجده يستنكر الاصطفاء لأقوام دون أقوام، كما في قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (المائدة:18).

واستنكر على اليهودي قولهم: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:75).

ثم يقال أيضاً: إن نسل إبراهيم يدخل فيه أيضا إسماعيل ﷺ فهو الابن الأكبر لإبراهيم، وينطبق عليه شرطكم أنه من نسله، وهو ما يؤيده الواقع. فقد ملك اليهود، ثم المسيحيون منطقة فلسطين قروناً عديدة، ثم جاء المسلمون وملكوها بعد ذلك.

***

المبحث الثاني

خيارات الحرب في اليهودية

نستطيع القول بأن السياسة الحربية الإسرائيلية جاءت معالمها بشكل واضح كما هو الأمر في السياسة الحربية الإسلامية، إلا أن هناك فرقا واضحا بينهما في المضمون والخيارات المتاحة.

وقبل الدخول في تفصيل ذلك، نسير في هذا المطلب على الخطوات نفسها التي تم السير عليها في

=الاستيطان الصهيوني يصبح من قبيل العودة للإعداد لعودة الماشيح، وتصبح الدولة الصهيونية بداية الخلاص، أي: أن عودة الماشيح تصبح نتيجة عودة اليهود لا سببا لها. راجع: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (2/ 137) وما بعدها بتصرف.

المطلب السابق، والذي نلخصه فيما يلي:

هناك زحف عسكري إسرائيلي على الأمم الوثنية الأخرى، وهذا الزحف تختلف خياراته إن كانت تلك الأمم مجاورة لأرض إسرائيل، أو بعيدة عنها. فالقريبة لإسرائيل ليس لها إلا القتل الذي سيشمل جميع البشر من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، كما سيتضح لاحقا.

أما الشعوب البعيدة عن أرض إسرائيل فلها خياران؛ الأول: الاستسلام، وينتج عنه العبودية والتسخير. وإما عدم الاستسلام، وهذا يعني قتل جميع الذكور، وسبي الإناث والأطفال. ونلاحظ هنا عدم وجود أي دعوة للدخول في الديانة، والذي هو المبدأ «المفترض» أن يكون القتال لأجله.

جميع هذه الخيارات النظرية تم تطبيقها على أرض الواقع في الحروب الإسرائيلية في أرض كنعان وما جاورها، كما ذكر ذلك العهد القديم اليهودي. ولكن كان هناك في بعض الأزمان عدم تطبيق صارم لهذه التعليمات، وذلك لظروف وملابسات تمس زمنها.

ونصل الآن إلى مقارنة خيارات الحرب في الإسلام، بما هو مشروع في اليهودية، وإن كان وجود المقارنة لا يدل بالضرورة على اتفاق الديانتين في المسألة، بل ربما يكون الفرق بينهما كبيراً جداً، وعلى سبيل المثال: مسألة الدعوة إلى دخول الديانة، كما سيتضح.

المطلب الأول: الدخول في الديانة ومدى وجوده:

نلحظ - بشكل واضح - أن الكتب المقدسة اليهودية ذكرت تفاصيل عدد كبير من الحروب، ومع ذلك فهي لم تُقدم مشروع هداية للأمم. ومع كثرة ذم اليهودية للوثنية، وأنها هي أكبر المُهلكات التي تُهلك الشعوب؛ فإننا لا نجد إشارات واضحة تحدد الموقف من دعوة الأمم، وإنقاذهم من أديانهم الوثنية.

وعندما نقارن ذلك بالمنهج الإسلامي؛ فإننا نجد مدى حرص الإسلام على دخول الناس في دين الله؛ إذ جُعل هذا هو الخيار الأول في الحروب الإسلامية، وهو خيار يجعل للشعوب كامل حقوقها وكرامتها، إذ المقصود بسط نفوذ الإسلام[15].

والتساؤل هنا: ما العرض اليهودي الذي يُقدم للشعوب عند الحروب؟

إن كثيرا من نصوص التوراة وسائر العهد القديم تتحدث مطالبة بزحفٍ يهودي على الأمم الوثنية الأخرى. ونترك التوراة تُحدثنا عن الخيارات المقدمة: [10 وإذا اَقتَرَبتُم مِنْ مدينةٍ لِتُحارِبوها فأعْرُضوا علَيها السِّلْمَ أوَّلاً].

والمقصود بالسلم هنا ليس التعايش وفق مبدأ الجزية في الإسلام، والذي يضمن الحرية مع وجود قسط مالي يدفعه الفرد للدولة الإسلامية نظير حمايتها له، بل

(15) راجع صحيح مسلم (3/ 1356) (4619).

المقصود هنا الاستسلام من غير قتال، كما سيتضح في الخيار الثاني، بعد عدة صفحات.

نحن هنا لا نرى أي خيار لتلك الأمم، بأن يدخلوا في الديانة الإسرائيلية، ويكون حالهم مساوياً لحال الإسرائيليين. إن هذه الحالة لا تُذكر هنا، ولا في أي موطن آخر من التوراة.

- اليهودية والمهتدي الجديد:

والموقف اليهودي من الشعوب غير الإسرائيلية موقف يتسم بالغموض الكبير، **فالديانة اليهودية لا تُمانع من دخول الأمم فيها، وهذا خلاف الرأي السائد عند كثير من الباحثين**؛ إلا أنها ليست مرحبة بتلك الأمم التي يمكن أن تؤمن برب إسرائيل. وهذا الأمر الذي أدى إلى تفاوت طبقي بين اليهودي والمتهود، وهو ما سيتضح قريبا.

عندما نقرأ في نصوص العهد القديم اليهودي نجد أن إله إسرائيل يقبل دخول الأمم الأخرى في طريقه: [9وأنتُم واقِفونَ اليومَ جميعًا أمامَ الرّبِّ إلهِكُم: رُؤساءُ أسباطِكُم وشُيوخكُم وقادَتُكُم ورِجالُكُم 10وأطفالُكُم ونِساؤُكُم والغريبُ الذي في مَحَلَّتِكُم، مِنْ مُحتَطِبِ الحطَبِ إلى مُستَقي الماءِ... 12لِيُقيمَكُم لَه هُنا أُمَّةً ويكونَ لكُم إلهًا... 13والرّبُّ إلهُنا لا يقطَعُ الآنَ هذا العَهدَ وهذا القسَمَ معكُم وحدَكُم. 14بل يقطَعُهُ أيضًا مع كُلِّ مَنْ يقِفُ معَنا اليومَ أمامَهُ، ومعَ مَنْ لم يُولَدْ بَعدُ لِيَقِفَ معَنا اليومَ هُنا] تثنية 29: 10.

ونجد أن من بين أهداف بناء الهيكل، جذب الشعوب الأخرى إلى الصلاة لله الواحد الحقيقي: [41وكذلِكَ الغريبُ الذي لا ينتَمي إلى إِسرائيلَ شعبِكَ، إذا جاءَ مِنْ أرضٍ بعيدةٍ مِنْ أجلِ اَسمِكَ، 42لأنَّ النَّاسَ يسمَعونَ بأَسمِكَ العظيمِ ويدِكَ القديرةِ وذِراعِكَ المَمدودةِ وصلَّى في هذا الهَيكلِ 43فاَسمَعْ مِنَ السَّماءِ، مِنْ مُقامِكَ، واَعمَلْ بِجميعِ ما يلتَمِسُ مِنكَ هذا الغريبُ، لِيَعرِفَ جميعُ أُمَمِ الأرضِ اَسمَكَ ويَخافوكَ مِثلَ إِسرائيلَ شعبِكَ، ويعلَموا أنَّ اَسمَكَ على هذا الهَيكلِ الذي بَنَيتُهُ لكَ] 1ملوك 8. ونحوه: [2أخبار 6: 32-33].

وهذا دليل - كما يعبّر وليم مارش- على إيمان سليمان وغيره من أتقياء اليهود أن الرب هو إله كل الأرض[16].

والغريب مُطالَبٌ بالدخول في دين إسرائيل، ويبدو أن منزلته كان يُنظر لها أقل من غيره؛ ولذا جاءت محاولة تصحيح هذه الفكرة في عدد من النصوص [عدد 15: 14-16، ونحوه 15: 29، خروج 12: 48]، ومن النصوص المهمة في ذلك: [3لا يَقُلِ الغريبُ الذي ينتَمي إليَ أنا الرّبُّ: لا بُدَّ أنْ يَفصِلَني الرّبُّ عَنْ شعبِهِ... 6والغُرباءُ الذينَ يَنتمونَ إليَ أنا الرّبُّ ليَخدِموني ويُحِبُّوا اَسمي ويكونوا لي عبيدًا ويُحافِظوا على السَّبتِ فلا

(16) السنن القويم، وليم مارش (4/ 290).

يُدَنِّسوهُ، ويتَمسَّكوا بعَهدي. 7أجيءُ بهِم إلى جبَلي المُقَدَّسِ ليفرَحوا في بَيتِ صلاتي وتكونُ مُحرَقاتُهُم وذبائِحُهُم مَقبولَةً على مذبَحي، لأنَّ بَيتي يُدعى بَيتَ صلاةٍ لجميعِ الشُّعوبِ. 8وقالَ السَّيِّدُ الرّبُّ الذي جمَعَ شَتاتَ بَني إِسرائيلَ: سأجمَعُ آخرينَ إلى هؤلاءِ الذينَ جَمَعتُهُم] إشعيا 56.

لكن هناك نصوص تُظهر فرقا بين المهتدي الجديد، وبين المهتدي الذي أقام بأرض إسرائيل، وتزوج، وخلّف أبناء، فهؤلاء معاملتهم كالإسرائيلي، بخلاف المهتدين الجدد [حزقيال 47: 21-23][17].

هنا نجد ترحيبا بدخول الأمم في دين اليهود، لكن السؤال الأهم في هذا، **هل كانت الأمم الوثنية التي مُنعت من إظهار شعائرها تتلقى الدعوة إلى دخول الدين الإسرائيلي** لأجل أن يعيشوا بمساواة داخل مجتمع واحد؟

لا نستطيع أن ننفي تماما وجود مثل هذه الدعوة، وإن كانت على نطاق ضيق، **وإلا فالأصل هو أننا لا نجد نصا في الكتب اليهودية المقدسة يأمر بدعوة الأمم** المخالفة للتوحيد وعبادة الرب - خاصة إن كنا نتحدث عن نطاق الفتوحات الحربية - إذ لا نكاد نجد فيها إلا الأمر بقتل المخالفين في الاعتقاد، وتكسير معابدهم وأوثانهم، أو الرضوخ للعبودية في بعض الحالات.

(17) انظر تفسير أنطونيوس فكري: حزقيال (47: 13-23).

ويشير «بيير كريبون» في دراسته المعنونة بـ«ديانات الحرب»، أن الحرب المقدسة الإسرائيلية «حرب أهلية، لا تبحث أبدا عن الهداية»[18].

وتشير «دائرة المعارف الكتابية» بأن العهد القديم يرى «أن إله إسرائيل هو إله كل البشر، وقد اختير إسرائيل من بين الشعوب لبركة كل الأمم، وعلى الرغم من تذكر إسرائيل مرات عديدة بأن المسيا سيأتي معه بالبركة لكل الشعوب، على الرغم من كل هذا، ومع أننا نجد بعض الوثنيين قد آمنوا بالرب، ولكن **لم تكن هناك دعوة صريحة لنشر معرفة الله بين الأمم** -فيما عدا ما يتضمنه سفر يونان- فلم تكن هناك حركة تبشيرية باليهودية»[19].

وهنا نصل إلى نتيجة هامة وضرورية، **وهي الارتباط الوثيق بين عقيدة الشعب المختار، وبين دعوة الأمم للديانة الإسرائيلية**، فإنا وإن تجاوزنا في الإقرار بإمكان وجود دعوة؛ إلا أنه في الحقيقة لا يمكن أن تخرج هذه الدعوة عن «عقيدة» الشعب المختار التي، وإن لم تمنع دخول الأمميين لليهودية - فهي لم تؤكد على دعوتهم إليها، إذ ارتسمت القومية بشكل كبير في هذه الديانة.

يشير الباحث المختص في القومية اليهودية «ألبيرتو دانزول» إلى وجود حواجز طبيعة في اليهودية،

(18) انظر: اليهودية والغيرية، ألبيرتو دانزول ص (64).

(19) دائرة المعارف الكتابية، مادة (دخيل).

ربما تكون عائقا ضد الاهتداء، إذ إن الأجنبي لكي يتهوّد لا بد أن يمر بفرز اثني، ولن يكون معتبرا إسرائيليا بشكل كامل، فهناك فرق يكرسه المفهوم الديني في التفريق بينه وبين الإسرائيلي الأصلي. لقد وجد هناك حاخامات تلموديون اعتبروا أن المهتدين هم بالنسبة لإسرائيل سيئون مثل الجرح «ياباموت ط46»، وهم لا يتزوجون من الطبقات السلالية العليا، وفي الجمعيات يكون موقعهم في الصف السابع قبل المعتوقين[20].

كما يؤكد هذه المبادئ أن الديانة اليهودية تستثني بعض الشعوب من كثير من الامتيازات، وتستبعدهم من الدخول «في جماعة الرب»، وهو الأمر الذي يؤكد عدم وجود رغبة يهودية في دعوة الشعوب، وحرمان شعوب أخرى. فهي مثلا تجعل العمونيين والموآبيين- الذين كانوا من أشد أعداء إسرائيل- لا يمكن أن يدخلوا في جماعة الرب، استنادا إلى عدد من النصوص المقدسة في ذلك [تثنية23: 4-9، ملاخي 1: 4، نحميا 13: 1-3].

فالتوراة تكرس مفاهيم تؤدي إلى امتياز العرق الإسرائيلي، وهو الأمر الذي يبدو أنه تطور تنظيمه في اليهودية الحاخامية فيما بعد، مما أدى إلى استبعاد فكرة الحرص على اكتساب الأمميين إلى الديانة.

ويشير «المسيري» إلى تنامي فكرة عدم الحرص على اكتساب غير اليهود عبر اليهودية الحاخامية؛ «لأن التلمود يرى أن اليهود وحدهم يجسدون روح الإله؛ لذا نجده لا يرحب بالمتهوِّدين. وقد ورد فيه [إن المتهوِّدين مثل القذى في عين جماعة يسرائيل]، وهو موقف لا يزال يسيطر على المؤسسة الأرثوذكسية وريثة التراث التلمودي في إسرائيل»[21].

هذا ما يتعلق باكتساب المتهودين وما فيه من غموض. أما الحرب فلا يوجد فيها أي مبادرة سلمية لاكتساب الأمم الأخرى لدين إسرائيل، لتعيش بسلام مع الشعب اليهودي.

المطلب الثاني: الاستسلام والعبودية مع دفع الجزية.

مر قبل بضع صفحات طريقة عرض الاستسلام في نصوص التوراة: [10وإذا اَقتَرَبتُم مِنْ مدينةٍ لِتُحارِبوها فاَعْرُضوا علَيها السِّلْمَ أوَّلاً 11إذا اَستَسلَمَت وفتَحَت لكُم أبوابَها، فجميعُ سُكَّانِها يكونونَ لكُم تَحتَ الجزيةِ ويخدِمونكُم] تثنية 20.

وهذا النص المنقول من «الترجمة العربية المشتركة» للكتاب المقدس، لا يخلو من تلطيف للعبارة، كما هي العادة في هذه الترجمة، ولذا نجد النص في ترجمة «فان دايك» الأكثر حرفية: [11فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ

(20) اليهودية والغيرية، ألبيرتو دانزول ص (103 - 104).

(21) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري (5/202).

لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ]، وفرق بين قوة التعبيرين ودلالتهما. وفي ترجمة «كتاب الحياة»: [فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيداً لَكُمْ].

فالتعامل مع الأمم له جانبان، الأول: «الأمم البعيدة»، وهذه يُعرض عليها الاستسلام أولا؛ وفي حالة عدم الاستسلام والرضوخ للعبودية، تأتي التعاليم الكتابية: [فَاضْرِبوا كُلَ ذكَرٍ فيها بِحَدِّ السَّيفِ. 14وأَمَّا النِّساءُ والأطفالُ والبَهائِمُ وجميعُ ما في المدينةِ مِنْ غَنيمةٍ، فاَغْنَموها لأنْفُسِكُم وتمَتَّعوا بِغَنيمةِ أعدائِكُمُ التي أعطاكُمُ الرّبُّ إلهُكُم. 15هكذا تفعَلونَ بجميعِ المُدُنِ البعيدةِ مِنكُم جدّاً] تثنية 20.

أما «الأمم القريبة» فليس لها إلا خيار واحد، ألا وهو القتل الذي يشمل جميع الشعب، كما سيتضح قريبا في الخيار الثالث.

ويأتي الحديث هنا عن تفصيل نموذج العبودية أو التسخير في اليهودية، والتي لا تقبل بحال – على خلاف الإسلام – أن يكون هناك خيار يعطي شعوبا أخرى حق العيش تحت مظلة الدولة اليهودية بحرية، ولو أن تدفع جزية مقدرة في ضوء حياة كريمة.

إن مبدأ التسخير للشعوب يظهر – بشكل واضح – في عدد من النصوص اليهودية المقدسة، فهو مقرر تشريعيا في النص السابق [تثنية 20: 10–11]، ومقرر تطبيقيا في عدد من الأحداث في الدولة اليهودية القديمة.

نجد في تلك الكتب ذِكْر حالاتِ تسخيرٍ بالقوة: حيث إن الإسرائيليين كانوا يسخّرون الكنعانيين، ويذكر العهد القديم أنه [28لَّما قوِيَ بَنو إِسرائيلَ فرَضوا على الكنعانيِّينَ أعمالَ السُّخرَةِ ولم يَطرُدوهُم] قضاة: 1. ونحوه في [قضاة 1: 30، 33]، حيث كانت التعليمات تأمر بالطرد، والقتل في الحرب. وكان هذا في زمن «القضاة» قبل فترة المملكة الإسرائيلية[22].

(22) المملكة الإسرائيلية، أو ملوك إسرائيل: من المهم هنا تصوّر تاريخ الدولة الإسرائيلية عبر التاريخ؛ إذ من المعلوم أن التاريخ السياسي الإسرائيلي كان يحكمه موسى [عام 1250، ورأي آخر: 1445ق.م]، ثم يشوع، ثم عهد القضاة، وبعد ذلك عهد الملوك، بداية بالملك شاول (1030ق.م)، ثم داود، ثم سليمان، ثم ابنه: رحبعام، والذي حدث في زمنه الانقسام الإسرائيلي، بين مملكتين: مملكة الجنوب، وتسمى يهوذا، نسبة لسبط يهوذا الذي منه داود، وكان ملكها رحبعام بن سليمان، واستمرت قرابة أربعمائة سنة، حتى سقطت على يد البابليين، الذين سبوهم إلى بابل، وقد كانت أحسن حالا من مملكة الشمال.
ومملكة الشمال التي استقلت عن الجنوب، وكانت تسمى إسرائيل، وعاصمتها السامرة، وملكها يربعام، الذي رشحه الشعب ليكون حاكما له ضد رحبعام. وحدث هذا الانقسام في عام 922 ق.م، واستمرت 260 سنة، وكان ملوكها يميلون للوثنية. وسقطت هذه المملكة على يد الدولة الآشورية التي قامت بسبيهم، وإحلال سكان آخرين مكانهم.
وقد انتهت الدولة الإسرائيلية عبر التاريخ من ذلك الوقت عبر عشرات القرون، ولم يعد لها ذكر مطلقا.
وقد ذكر سفر الملوك الأول تفاصيل هذا الانقسام، وأسبابه، وتجد الواقعة مرتبة في كتاب: تاريخ إسرائيل من واقع=

ويظهر أن التسخير بدأ بشكل قوي مع نشأة المملكة اليهودية القوية، بقيادة الملك «داود»، على يد شخص اسمه: أدورام [صموئيل الثاني 20: 24]، وهو أول من بدأ التسخير في مملكة إسرائيل.

ولما احتل داودُ رِبَّة [عمّان=الأردن] من بلاد العمونيين، أجبر أهلها على الأعمال الشاقة، [31وأخرَج سُكَّانَها مِنها وأجبَرَهُم على العمَلِ بالمناشيرِ والنَوارج وفُؤوسِ الحديدِ، وعلى الاشتغالِ بصِناعةِ اللَّبِنِ. هكذا فعلَ بِجميعِ مُدُنِ بَني عَمُّونَ] صموئيل الثاني 12. ونحوه: [أخبار الأول 20: 3][23].

=نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، للأب متى المسكين ص (105)، وما بعدها. وراجع أيضا: كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس، هربرت لوكير ص (89، 115). ملحوظة: التواريخ المذكورة تقريبية، وتختلف المصادر في ذكرها.

(23) هنا أوردت نص الطبعة المعتمدة في هذا البحث، وهي: الترجمة العربية المشتركة، والتي تُظهر أن داود استعبد العمونيين، وجعلهم يعملون بالمناشير. وكذلك نجد النص في (ط. المشرق)، وهي التي تُسمى: الآباء اليسوعيين، الكاثوليكية، وأيضا ترجمة: كتاب الحياة، جميعها تقرر التسخير بالأعمال الشاقة.

لكننا في (ط. فان دايك)، التي يُقال: إنها أكثر حرفية في ترجمة النص الكتابي نجد اختلافا، حيث تُظهر داود بأنه ذبح العمونيين شر ذبحة، حيث نشرهم بالمناشير والفؤوس: [3وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ] أخبار الأول 20، ويقابله في صموئيل: [31وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ= =وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ] 2صموئيل 12.

وهنا يظهر فرق شاسع بين الاستعباد والتسخير، وبين هذه المذبحة الكبرى، والتطهير العرقي.

وكأن قاموس الكتاب المقدس، «مادة: منشار»، ألمح إلى هذا الإشكال، ونجد أيضا دائرة المعارف الكتابية صرّحت تماما بهذا الإشكال الذي في النص، والتي حاولت الترجمات الثلاث (غير ط. فان دايك) تلطيفه، حيث تقول الدائرة: «وكان المنشار من الأدوات المستخدمة في إسرائيل (إشعيا 10: 15). وكان النشر عملاً شاقاً، فكان يُسند عادة لأسرى الحروب، حيث يرجح أن هذا ما فعله داود بأسراه من ربة بني عمون، فهو لم يقتلهم بالمناشير، بل بالحري سخرهم في هذا العمل (2صموئيل 12: 31)، **ولكن العبارة في سفر أخبار الأيام الأول**: «ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس» (1أخبار 20: 3) **تقطع بأنه قتلهم بالمناشير**، فقد كان المنشار يستخدم آلة للتعذيب والقتل» دائرة المعارف، مادة: نشر – منشار.

أقول: لا يُهمنا هنا ثبوت النص بقتلهم بالمناشير، أو أنه يدل على الأعمال الشاقة؛ لأن في العهد القديم اليهودي نصوصا متكاثرة في مذابح متعددة يُصورها العهد القديم بقيادة أنبياء الله، وسيأتي بيانها في: المبحث الثالث، المطلب الثاني: المنهج التطبيقي للإبادات الجماعية أثناء الحرب.

وهذا أحد النماذج المتعددة التي تؤكد محاولة المترجمين للنسخ العربية تهذيب العبارات التي يُرى فيها القسوة الشديدة. وهنا نماذج أخرى بين الترجمات. قارن بين الترجمة المشتركة، وبين الفان دايك في: (تثنية 20: 11)؛ إذ هناك فرق بين التسخير والجزية، وقارن (قضاة 15: 8) بين الترجمة المشتركة وبين فاندايك، وأيضا: قارن (تيطس 2: 5) في الترجمة المشتركة وبين سائر الترجمات، إذ فرق بين لفظ «نساء مطيعات» أو «نساء خاضعات»، وأيضا: (أمثال 14: 21) ففي المشتركة: [21مَنْ يَحتَقِرِ **الآخرينَ** يَخطَأْ]، بينما في الترجمات الأخرى: [من يحتقر=

وتطور الأمر في زمن سليمان، حيث قام بتسخير عشرات الألوف من العمال المرابطين لبناء الهيكل من غير الإسرائيليين، وكان معهم بعض الإسرائيليين [ملوك الأول 5: 27-29][24]، [أخبار الثاني 2: 17-18].

فالتسخير الذي كان لبني إسرائيل كان وقتيا، وفيه راحة أيضا، وانتهى بعد فترة، كما أن فيه تمييزا بين الإسرائيليين، وغيرهم[25]. فأما غير الإسرائيليين فهم الذين سخرهم سخرة دائمة: [20وَمِنْ أجلِ هذا سَخرَ الذينَ لم يكونوا مِنْ بَني إِسرائيلَ وجميعَ مَنْ بَقيَ مِنَ الأمورِيِّينَ والحِثِّيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ والحَوِّيِّينَ واليَبوسِيِّينَ 21في أرضِ كنعانَ **ولم يَقدِرْ بَنو إِسرائيلَ أنْ يَقضوا علَيهِم**. هؤلاءِ سَخرَهُم سُليمانُ كالعَبيدِ إلى هذا اليومِ. 22وأمَّا بَنو إِسرائيلَ فلم يجعَلْ سُليمانُ مِنهُم عَبيدًا، فكانوا جنودًا لَه وحرَسًا...] ملوك الأول 9. ونحوه: [أخبار الثاني 8: 7-9].

نلاحظ في النص عبارة: [**ولم يَقدِرْ بَنو إِسرائيلَ أنْ يَقضوا علَيهِم**]، تدل على ما سبق تكراراه أن التسخير كان لطائفة من الشعوب البعيدة، وأما ما حصل من التسخير للشعوب القريبة فهو على خلاف القاعدة الآمرة بإفناء الشعوب، لكن كان من الصعب تطبيقها واقعيا لعدة اعتبارات.

وهنا يظهر لنا الفرق بين الإسلام واليهودية.

فالإسلام شرع العبودية في مسألة أسرى الحرب، بعد رفض الأمم للخيارات السلمية - الدخول في الإسلام، أو الجزية بدلا من ذلك -، وأما في حال موافقة الشعوب على الاستسلام ودفع الجزية فإن ذلك يجعلهم أهل ذمة عند المسلمين، يُدافعون عنهم، وهم أحرار، وليسوا بعبيد. بينما نجد اليهودية لا تجعل أي خيارات للحرية، فالأمر إما القتل وإما العبودية.

المطلب الثالث: القتل دون أي عرض سلام.

من خلال ما سبق؛ يظهر لنا أن خيارات الحرب

=**قريبه**]، وفرق بين التعبيرين، خاصة في المفهوم اليهودي. وأيضا: (أعمال الرسل 6: 1) كلمة «زاعمين» موجودة في المشتركة فقط دون سائر الترجمات. وأيضا في: (تيموثاوس الأولى 2: 12)، في «الترجمة المشتركة» أن على المرأة أن [تَلزَمَ الهُدوءَ]، وفي الترجمات الأخرى يلزمهن «السكوت»، وفرق بين التعبيرين في الأحكام. وفي (تيموثاوس الأولى 2: 9)، بين المشتركة والترجمات الأخرى.

والمقام يطول بالأمثلة التي ليس هذا مجال سردها ومناقشتها، وهي تُثبت أثر التحولات الفكرية المعاصرة على صياغة النصوص المقدسة اليهودية والمسيحية، وهي نقطة من المهم التركيز عليها في الحوارات الإسلامية مع أصحاب الديانات الأخرى، إذ تتعلق بقضية علمية منهجية في ثبوت النصوص الكتابية وكيفية فهمها.

(24) عند المقارنة بين نسخ الكتاب المقدس لهذا النص نجد اختلافا في أرقام الفقرات في هذا الإصحاح: فالترجمة العربية المشتركة توافق (ط. المشرق)؛ حيث تأخذ الأرقام: 27-29. بينما نجد هذه الفقرات في ترجمة فان دايك، وكتاب الحياة (مع التفسير التطبيقي)، تأخذ الأرقام: 13-15.

(25) راجع: السنن القويم، وليم مارش (4/ 27).

إما الرضا بالعبودية - **وهو خاص بالأمم البعيدة من إسرائيل** -، وإما القتل في حال أنها لم ترض بعرض السلام الوحيد، وهو: العبودية. وفي ذلك يأتي النص التوراتي: [12 وإنْ لم تُسالِمْكُم، بل حارَبَتكُم فحاصَرتُموها 13 فأسلَمَها الرّبُّ إلهُكُم إلى أيديكُم، فاَضْرِبوا كُلَ ذكَرٍ فيها بِحَدِّ السَّيفِ. 14 وأمَّا النِّساءُ والأطفالُ والبَهائِمُ وجميعُ ما في المدينةِ مِنْ غَنيمةٍ، فاَغْنَموها لأنْفُسِكُم وتمَتَّعوا بِغَنيمةِ أعدائِكُمُ التي أعطاكُمُ الرّبُّ إلهُكُم. 15 هكذا تفعَلونَ بجميعِ المُدُنِ البعيدةِ مِنكُم جدا، التي لا تخصُّ هؤلاءِ الأُمَمَ هُنا] تثنية 20.

أما الأمم القريبة من إسرائيل، فهي خارجة عن الخيارات؛ فالنظرة الإسرائيلية ترى أن هؤلاء يُشكلون خطرا كبيرا على إسرائيل، ولا يصلح أن يخالطوهم أبدا، فهؤلاء ليس لهم أي خيار حربي، بل ليس لهم إلا القتل الشامل: [16 وأمَّا مُدُنُ هؤلاءِ الأُمَمِ التي يُعطيها لكُمُ الرّبُّ إلهُكُم مُلْكًا، فلا تُبقوا أحدًا مِنها حيا 17 بل تُحَلِّلونَ إبادَتَهُم، وهُمُ الحِثِّيّونَ والأموريُّونَ والكنعانِيُّونَ والفِرِّزِيُّونَ والحوِّيُّونَ واليَبوسيُّونَ، كما أمركُمُ الرّبُّ إلهُكُم 18 لِئلاَ يُعَلِّموكُم أنْ تفعَلوا الرَّجاساتِ التي يفعَلونَها في عِبادَةِ آلِهَتِهم فتخطؤوا إلى الرّبِّ إلهِكُم] تثنية 20.

وفي نص آخر: [وإذا أدخلَكُمُ الرّبُّ إلهُكُم الأرضَ التي أنتُم مُزمِعونَ أنْ تمتلِكوها، وطَرَدَ أُمَمًا كثيرةً مِنْ أمامِكُم كالحِثِّيِّينَ والجرجاشِيِّين والأموريِّينَ والكنعانيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ والحَوِّيِّينَ واليَبوسيِّينَ، وهُم سَبعةُ شُعوبٍ أعظمُ وأكثرُ مِنكُم، 2 وأسلَمَهُم إلى أيديكُم وضَربتموهُم، فاَجعَلوهُم مُحَرَّمينَ علَيكُم] تثنية 7.

وقد يتساءل البعض: هل يمكن عرض السلم والجزية والعبودية على الأمم القريبة كما هو للأمم البعيدة؟

يظهر أن السلام لا يشملهم، ولا تُشير النصوص إلى عرض السلام عليهم، كما أن عقوبتهم أشد من عقوبة الأمم البعيدة، كما تُشير إليه النصوص الأخرى: [2...فاَجعَلوهُم مُحَرَّمينَ علَيكُم. لا تقطَعوا مَعهُم عَهدًا، ولا تتَحنَّنُوا علَيهِم... 16 وتقضي على جميعِ الشُّعوبِ الذينَ يُسلِّمُهُم إليكَ الرّبُّ إلهُكَ. لا تُشفِقْ علَيهِم ولا تعبُدْ آلهَتَهُم، ففي ذلِكَ شَرَكٌ لهلاكِكَ] تثنية 7.

كما نجد توجيهات أخرى تمنع المعاهدة أبدا لأصحاب هذه الأرض، ويظهر أن التعليم الكتابي يجعل حكمهم القتل، كما هو صريح في عدد من النصوص. والنصوص التي تنص على منع المعاهدات [خروج 34: 12-13، قضاة 2: 2] لا تنافي الأمر بقتلهم، بل هي تتحدث عن حالات لا يمكن للإسرائيليين أن يُقاتلوا أصحاب الأرض، وعدم القدرة هنا ليس بمسوّغ مقبول لعقد المعاهدات معهم.

وختاماً: إن هذه التعليمات القانونية الحربية في

الديانة اليهودية مارستها الجيوش الإسرائيلية بشكل دقيق جدا، والتي نتج عنها مذابح جماعية، وعمليات إبادة لشعوب مُتعددة، سنشير إليها في المبحث القادم.

***

المبحث الثالث

جرائم الحرب والإبادات الجماعية والحماية للمدنيين

المطلب الأول: المفاهيم القانونية والتشريعات اليهودية.

من أكثر ما يقلق الأنظمة الدولية المعاصرة ما نتج من جرائم حرب وإبادات جماعية للجنس البشري في كثير من الحروب. ونصت «اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية» في مادتها الثانية إلى الأفعال التي تعد من الإبادة الجماعية:

- قتل أعضاء من الجماعة.
- إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.
- إخضاع الجماعة عمدا لظروف معيشية يراد بها تدميرها كليا أو جزئيا.
- فرض تدابير تستهدف الحيلولة دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.
- نقل أطفال من الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى[26].

هذا هو التصوّر القانوني في الأنظمة الدولية المعاصرة حول هذه النقطة، ولئن كان هذا التصور نجح في بعض الأحيان، فقد لاقى فشلا في أحيان أخرى. ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة مصداقية تطبيق هذه القوانين، بقدر ما نريد تصوير المفاهيم، وربطها بالتعاليم الحربية التي تأمر بها شرائع الأديان، أو قام بعملها أتباع الأديان.

ولما كانت هذه المسألة تشغل حيزا من الاهتمام في الدراسات الإنسانية المعاصرة، كان من المهم أن نشير إلى موقف اليهودية مما يُسمى في مصطلحات القانون الدولي الإنساني بـ: «جرائم الحرب والإبادات الجماعية»، ومدى تفاعل التعاليم الدينية مع تلك الأنظمة، والإشكالات التي يمكن أن تُثار حول تلك التعاليم. كل هذا سيتضح في ثنايا هذا المبحث.

إذا استثنينا حالة واحدة من الحروب اليهودية، وهي: عرض السلام على أن تُستعبد الشعوب، فإن جميع تشريعات الحرب اليهودية تدعو إلى قتل الرجال في حال كانت شعوب الأعداء بعيدة عن أرض إسرائيل، أما إن كانت من الشعوب القريبة؛ فإن الإبادات تشمل مع الرجال: النساء والأطفال، والحيوانات أحيانا.

ومما يلفت النظر أن هذه التشريعات تأتي من قبيل «التشريع القانوني»، وليست المسألة حالات فردية حصلت مرة أو مرتين، اضطر فيها الإسرائيليون لتأديب أمة من الأمم.

(26) راجع: الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، محمود بسيوني (2/ 1009)، ومعجم المصطلحات القانونية، هنري كابيتان، ترجمة منصور القاضي، مادة (إبادة الجنس).

وقد سبق لنا ذكر النصوص «المُشرّعة» لهذه المذابح والتعليق عليها[27].

والسؤال: هل كانت هذه التعليمات في قتل الأعداء أثناء الحرب مُطبقة فعلاً؟ أو هي حديث عمَّا يُمكن أن يحصل في الحرب، ويحتاج إلى فتوى بذلك؟

الواقع أن هذه التعاليم تم تطبيقها بحذافيرها وزيادة في الحروب الإسرائيلية التي استهدفت أرض كنعان وغيرها، وإن الذي يقرأ العهد القديم ليلحظ تلك الدقة، والتأكيد على تطبيق هذه التعاليم، حتى لا تكاد تجد رواية لوقائع حربية - وهي كثيرة في العهد القديم - إلا ويعقبها ذكر الصفة التي قتل بها الإسرائيليون أعداءهم. وهو ما يؤكد أن وقائع القتل الجماعي لأعداء إسرائيل ليست وقائع استثنائية، بل هي تشريعات طُبقت على نطاق واسع بشهادة الكتب المقدسة اليهودية كما سأورده بعد قليل.

إن هذه الإبادات كانت تقوم على أساس ما يسمى في القانون الدولي بجرائم التطهير العرقي، وهي قتل الشعوب غير المقاتلة على أساس ديني.

ويذكر بعض اللاهوتيين المسيحيين أن الحرب الإسرائيلية تدخل في مفهوم الحرب المقدسة، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدعوة إسرائيل الإلهية إلى أن يكون شعب الله المختار. ونرى أولى تطبيقاتها في الأحداث العسكرية التي رافقت الخروج من مصر. ستُعتبر هذه الحروب حروباً مقدسة، حروبا من أجل الله، وحروب الله. فهي لا تسعى إلى نشر الإيمان، بل هدفها أن تؤمن استمرارية الشعب وبقاءه. يُحارب إسرائيل إذاً بصفته شعب الله، فالله هو المستولي على جيشه [خروج 14: 41، وأيضا: 1صموئيل 7: 26]؛ وهذا يعني أنّ الله نفسه يتحرك في وسط المعركة[28].

المطلب الثاني: المنهج التطبيقي للإبادات الجماعية أثناء الحرب.

ونحن هنا سنورد عدة نماذج لهذه المذابح الجماعية التي طالت المدنيين وغيرهم، ولا يسمح المجال بالتوسع في ذلك، بل المقصود رسم المنهجية اليهودية في ذلك، نظرية وتطبيقا. واختصارا لذلك سأحرص على التقليل من نقل النصوص الطويلة والكثيرة التي يحويها العهد القديم، وأذكر الشواهد منها، وأحيل على غيرها، إذ لو اتخذنا منهج سرد النصوص لاحتجنا إلى عشرات الصفحات لنقلها.

الحروب الإسرائيلية بقيادة موسى عليه السلام:

إن العهد القديم يتحدث عن مسير موسى عليه السلام

(27) سبق في المبحث الثاني، المطلب الثالث: القتل دون أي عرض سلام.

(28) هل من عنف في الكتاب المقدس؟، تحت عنوان: العنف في العهد القديم، للأب سمير بشارة اليسوعي. ضمن كتاب: وجه الإنسان وكلام الله، بعناية الخوري بولس الفغالي.

وقومه من مصر إلى أرض كنعان، مع العلم أنه لم يتسنَّ لموسى عليه السلام أن يدخل أرض كنعان، حيث إن الذي دخلها وقاد بني إسرائيل لدخولها هو يشوع عليه السلام. وقد حدث في وقت دخوله - حسب رواية العهد القديم - عدد من المذابح الكبرى التي أبيدت فيها بعض المدن كاملة بكل ما فيها من روح.

وكثيرا ما يتعرض الذين يكتبون عن العنف في العهد القديم إلى أفعال يشوع عليه السلام، ودوره في المذابح الجماعية. لكن عند القراءة فيه تجد أن في زمن موسى عليه السلام وقبل دخول كنعان قد حدث عدد من الإبادات لبعض الأمم في طريق بني إسرائيل.

- مذبحة المديانيين:

يتكلم العهد القديم عن تعرض المديانيين للإسرائيليين، وأن نساءهم أغروا الإسرائيليين، وأوقعوهم في الزنا، ومن ثم عبادة الأوثان [عدد 25: 16، و31: 16][29]، وهنا جاء الانتقام الإسرائيلي بقتل جميع رجال المديانيين، وبعد ذلك [9سَبى بَنو إِسرائيلَ نِساءَ مِديانَ وأطفالَهُم وجميعَ بَهائِمِهِم ومَواشيهِم، وغَنِموا مُمتَلَكاتِهِم، 10وأحرَقوا بالنَّارِ جميعَ مُدُنِهِم بمساكِنِها وقُصورِها، 11وأخذوا جميعَ الأسلابِ والغَنائمِ مِنَ النَّاسِ والبَهائمِ] عدد 31.

إذاً؛ كانت النتيجة قتل الرجال وإبقاء النساء، والأطفال الذكور والإناث، مع حرق المدن، وأخذ الغنائم.

كل هذه الأشياء لم تكن بقيادة موسى عليه السلام، فالجيش المرسل لقتل المديانيين لم يكن بقيادته. فكيف ذكرت التوراة موقف موسى من هذه الأفعال؟

تذكر أن موسى عليه السلام - بعد علمه بقتل الرجال، وإبقاء الأطفال والنساء - قال: [15... لماذا أبقَيتُمُ الإناثَ كُلَّهُنَّ على قَيدِ الحياةِ؟... 17فالآنَ اَقتُلوا كُلَ ذَكَرٍ مِنَ الأطفالِ وكُلَ اَمرأةٍ ضاجعَت رَجلاً، 18وأمَّا الإناثُ مِنَ الأطفالِ والنِّساءِ اللَّواتي لم يُضاجعْنَ رَجلاً فاَسْتَبقوهُنَّ لكُم] عدد 31.

أمر موسى بأكثر مما فعل الجيش، أمر بقتل كل طفل من الذكور، وكل امرأة ليست عذراء، لاحتمال أنها قامت بإغواء الإسرائيليين في الوقوع في الزنى[30].

ربما أحس بعض اللاهوتيين المسيحيين المعاصرين في تعليقهم على هذا النص بفظاعة قتل الأطفال، حيث لا ذنب لهم، وقد يكون ذلك دفعهم إلى القول بأن الأطفال الذين قُتلوا هم من كان ثمرة النجاسة المحرمة بين الرجال والنساء، ويُفهم من كلامهم أنه لم يقتل الأطفال الذكور ممن جاء بنسب صحيح![31].

(29) راجع التفسير التطبيقي ص (327)، عدد (25: 1-3).

(30) راجع: التفسير المعاصر للكتاب المقدس، دون فليمنج ص (104).

(31) راجع: من تفسير وتأملات الآباء السابقين: العدد، للقمص=

وهذا مخالف في الحقيقة لظاهر النص، والذي جاء فيه: [اَقْتُلوا كُلَ ذَكَرٍ مِنَ الأطفالِ وكُـلَ اَمـرأةٍ ضـاجعَت رَجلاً]. ففي حال الأطفال عمم الأمر، فقال: [كل ذكر]، وأما النساء، فخصص بأن يقتل كل امرأة ضاجعت رجلا.

ولذا يعلل البعض بتعليل أفضل، حيث إن قتل الذكور من الأطفال ليس لأنهم نتيجة الزنا، وإنما «يُقتل؛ لأنه حين يكبر سيحارب الشعب»[32].

وهو توجيه أقرب للصواب؛ إذ ليس مستغربا في سياسة الحرب الإسرائيلية أن يُقتل الأطفال، كما سيتبين في الفقرات القادمة.

- مذبحة الأموريين:

ويذكر العهد القديم حرب موسى عليه السلام مع سيحون ملك الأموريين، والذي كان يسكن حَشْبونَ، وهو الذي حاول أن يمنع العبرانيين من المرور في أرضه، وهم في طريقهم إلى أرض كنعان [عدد 21: 21+].

نتيجة المنع هذه أحدثت المعركة التي يصفها موسى عليه السلام في معركة تذكيره بني إسرائيل بنعمة الله عليهم: [32فخرج سيحونُ إلى يـاهَصَ بجميعِ قومِهِ لمُحاربتِنا، 33فأسلَمَهُ الرّبُّ إلهُنا إلى أيدينا، فقتلناهُ هوَ وبنيهِ وجميعَ قومِهِ، 34وفتَحْنا جميعَ مُدُنِهِ في ذلِكَ الوقتِ، وحَلَّلنا في كُلِّ مدينةٍ قَتْلَ جميعِ الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفالِ فلم نُبْقِ باقيًا] تثنية 2.

لقد كانت حال أهل مديان أفضل من حال الأموريين قوم سيحون. فقد تم قتل النساء والأطفال فضلا عن الرجال.

- مذبحة باشان:

ومثلما ما فعلوا بالأموريين، فعلوا بعوج ملك باشان، فضربه بنو إسرائيل هو وبنيه وجميع قومه، حتى لم يبق له شريد، وامتلكوا أرضه [عدد 21: 35]، وكان عدد مدنه ستين مدينة. يقول موسى: [6فحَلَّلْنا في كُلِّ مدينةٍ قَتْلَ جميعِ الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفالِ] تثنية 3.

ستون مدينة قتل جميع أطفالها ونسائها ورجالها!، يعلق عليها عالم اللاهوت «وليم مارش» بقوله: «وللرب الإحياء والإماتة بالطريق الذي يختارها، فهو يميت بعض الناس بالانحلال الطبيعي... والبعض قتلا بالسيف.... فلا يستنتج من ذلك أن للمؤمن أن يقتل الكافر؛ لأن الله لم يأمر المؤمنين بقتل الكافرين... بل أمرهم أن يحبوا أعداءهم»[33].

وهذا نموذج - كما سيأتي قريبا - أردت به الإشارة إلى مثال المفسر المسيحيِّ الذي يريد أن يجمع بين نصوص متناقضة: بين إبادة لأقوام لا علاقة لهم - نساء، أطفال، شيوخ - بالأمر الإلهي، وبين المحبة للعدو بالأمر

=تادرس يعقوب ص (207).

(32) تفسير أنطونيوس فكري: العدد (31: 17) ص (75).

(33) السنن القويم (2/ 369).

الإلهي أيضاً. لا شك أنه سيق في ارتباك واضح، عندما يريد إيصال رسالته المسيحية للمحبة، ويجد ما يناقضها في الكتاب الذي يدافع عنه دائما أنه كلام الرب.

الحروب الإسرائيلية بقيادة يشوع عليه السلام:

قاد موسى عليه السلام الإسرائيليين في الخروج من مصر إلى أرض كنعان - فلسطين -، إلا أن موسى لم يتسن له دخول أرض كنعان، حيث جاءه الموت قبل ذلك، وكان يشوع عليه السلام هو الخليفة الذي بعده، وهو القائد الملهم من الرب لدخول كنعان.

وتعد مرحلة قيادة يشوع عليه السلام لبني إسرائيل من أهم المراحل السياسية في تاريخ إسرائيل عموما؛ لكونها المرحلة التي دخل فيها الشعب إلى أرض كنعان. والذي يهمنا هنا ما يتعلق بالحروب الطاحنة التي خاضها يشوع عليه السلام عند دخوله الأرض.

إن سفر يشوع يمثل التاريخ الإسرائيلي المليء بالمذابح، حيث تكثر فيه عمليات الإبادة للشعوب البشرية، بل وغير البشرية. وهنا سنتعرض باختصار شديد إلى هذه المذابح التي قامت بها الجيوش الإسرائيلية[34].

المدينة الفلسطينية **أريحا**، اقتحمها الجيش الإسرائيلي بقيادة يشوع، [21وقتَلوا بحَدِّ السَّيفِ إكرامًا للرّبِّ جميعَ ما في المدينةِ مِنْ رِجالٍ ونِساءٍ وأطفالٍ وشُيوخ، حتى البقَرَ والغنَمَ والحَميرَ... 24وأحرَقوا المدينةَ وجميعَ ما فيها بالنَّارِ إلاَ الذَّهبَ والفِضَّةَ وآنيةَ النُّحاسِ والحديدِ، إذْ وضَعوها في خزانةِ بَيتِ الرّبِّ] يشوع 6.

ولم تكن مدينة **عاي** بأحسن حالا من أريحا، حيث قتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم، [25وكانَ عدَدُ القَتلى في ذلِكَ اليومِ مِنْ رِجالٍ ونِساءٍ اَثني عشَرَ ألفًا وهُم جميعُ أهلِ عايٍّ. 26ولم يَرُدَّ يَشوعُ يَدَهُ التي مَدَّها بِالحربةِ حتى هلَكَ جميعُ سُكَّانِ عايٍّ] يشوع 8.

وأيضا مدن **الأموريين** في جنوب كنعان، أصابها ما أصاب أريحا، من قتل وتدمير للعديد من المدن، وإبادة لشعبها [يشوع 10: 28-40].

وأيضا مدن **كنعان الشمالية** لم تكن أسعد حَظًا من جنوبها، حيث تحالف ملوك تلك المدن على حرب يشوع بجيش جرار، وكان عددهم (31) ملكا بأرضهم ومدنهم [يشوع 12: 24] لكنهم هُزموا، [14وغَنِمَ بَنو إسرائيلَ غَنائمَ تِلكَ المُدُنِ وبَهائمَها، وأمَّا السُّكَّانُ فضربوهُم جميعًا بِحَدِّ السَّيفِ حتى أفنوهُم ولم يُبقوا على أحدٍ. 15كما أمرَ الرّبُّ موسى هكذا أمرَ موسى يَشوعَ، ففَعلَ ولم يُهمِلْ كلِمةً واحدةً مِنْ جميعِ ما أمرَ الرّبُّ بهِ موسى] يشوع 11.

أقول: وختامًا لهذه الأحداث نذكر هنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا عن بني إسرائيل، وأخبرا

(34) لمعرفة تفصيل هذه المذابح راجع: سفر يشوع كاملا، وأيضاً: تاريخ إسرائيل، متى المسكين ص (52-58).

عن خروجهم بقيادة موسى عليه السلام لهم إلى الأرض المباركة، وأنهم كانوا تحت تسلط الفراعنة، وذكر الله عن موسى عليه السلام وقومه بأنهم قاتلوا وجاهدوا، وفيهم من ظلم وتجبّر.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ حول غزوات يشوع عليه السلام: (غزا نبي من الأنبياء... فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه)[35].

وفي رواية: (إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع [يشوع] ليالي سار إلى بيت المقدس)[36].

ومع ذكر النصوص الإسلامية لهذا؛ لم تذكر أن من شريعتهم قتل كل شيء، حتى الشيوخ والأطفال، بل هذا مما جاء الإسلام بتحريمه صراحة[37].

الحروب الإسرائيلية بعد يشوع عليه السلام:

بعد موت يشوع عليه السلام، واستقلال بني إسرائيل بأرض كنعان، هدأت الحروب في تلك الفترة، ولم يخل التاريخ الإسرائيلي من معارك حربية ليست بالبعيدة عن سابقها.

- مذبحة القاضي شمشون للفلسطينيين:

المرحلة التي تلت مرحلة يشوع عليه السلام تسمى مرحلة القضاة الإسرائيليين؛ إذ كانوا من أتقياء إسرائيل، وحدث في زمنهم عدد من الأحداث. ويذكر العهد القديم أحد هذه الأحداث عن شمشون - من قضاة الإسرائيليين - عندما قام بالتزوج من امرأة فلسطينية، ومع الأيام أبغض شمشون هذه المرأة، ووضعها عند والدها. فقام والد هذه الفتاة بتزويجها من أحد أصدقاء شمشون، وذلك جريا على العادة الفلسطينية في ذلك الزمن[38].

وعندما علم شمشون بهذا الأمر، غضب، وأخذ يحرق مزارع وحقول الفلسطينيين جميعا. وهنا سأل الفلسطينيون عن السبب؟ ولما علموا [6...اَجتمَعَ الفِلسطيُّونَ وأحرَقوا المَرأةَ وأباها بالنَّار. 7فقالَ لهُم شَمشونُ: حتى لو فعَلتُم هذا، فأنا لن أكُفَ عَنكُم حتى أنتَقِمَ مِنكُم. 8فهاجَمَهُم بِعُنفٍ، وأنزَلَ بِهِم الهزيمةَ، ثمَ نَزَلَ وأقامَ بِمَغارةٍ في سَلْعِ عَيطَمَ] قضاة 15.

(35) سبق تخريجه، وهو في الصحيحين.

(36) سبق تخريجه، وسنده صحيح.

(37) جاء في التعاليم النبوية لنبي الإسلام ﷺ (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا) صحيح مسلم (1731).
وروى ابن عمر أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان. صحيح البخاري (2851)، صحيح مسلم (1744).

(38) كان من عادة الفلسطينيين أن الزوج إذا ترك زوجته فإنها تزوج صديق الزوج [قضاة 15: 2]، فغضب لذلك شمشون، وأحرق حقولهم.

أقول: لقد عمل المترجمون في الترجمة العربية المشتركة على تلطيف العدد (8)، حيث ترجموها: [8فهاجَمَهُم بِعُنفٍ، وأنزَلَ بِهِم الهزيمةَ، ثمَ نَزَلَ وأقامَ بِمَغارةٍ في سَلْعِ عَيطَمَ].

وعندما ترجع لترجمة «فان دايك»، وهي الترجمة الأكثر حرفية، تجد العبارة تختلف في وصف الحال، حيث تصف الحادث بصورة أكثر وحشية: [8 وَضَرَبَهُمْ سَاقًا عَلَى فَخْذٍ ضَرْبًا...].

وفي ط. المشرق: [وضربهم فسحقهم سحقا عظيما].

وفي كتاب الحياة: [وهجم عليهم بضراوة].

وهكذا نجد أن التراجم الثلاث -عدا فان دايك- تعد عباراتها تفسيرا لمعنى: [جعلهم ساقا على فخذ]، وذلك إشارة للنكاية، وكثرة القتل.

وهنا يرِد السؤال: ما الذي حمل شمشون على إبادته لهؤلاء القوم، وهم الذين قاموا بمعاقبة من أساء إليه؟

إن الكتب المقدسة اليهودية تُقدم شمشون على أنه قاض إسرائيلي له قدره العالي، ولا نرى لها أي تعقيب على استنكار فعلته!!

- الحروب في زمن الملوك، ومذبحة العماليق:

مرحلة ملوك إسرائيل هي إحدى الفترات الحربية المهمة، التي بلغت فيها الدولة العبرية أوج اتساعها، بقيادة أشهر ملوك إسرائيل: شاول، ثم داود، وابنه سليمان. كما زامن بداياتها وجود أحد أعظم الأنبياء: صموئيل، والذي له سفران من أسفار العهد القديم.

خاض الإسرائيليون عددا من الحروب في تلك الفترة، ومنها حربهم مع العماليق، وهم قوم يعرفهم الإسرائيليون جيدا، وذلك عندما اعترضوهم عند خروجهم من مصر، وأثناء توجههم إلى كنعان بقيادة موسى عليه السلام، وبسبب ذلك حصلت المعركة المعروفة التي انتصر فيها الإسرائيليون، وقد توعدهم الرب بأنه سيحاربهم جيلا بعد جيل، وسيمحوهم من تحت أديم السماء، بعدما يتفرغ بنو إسرائيل من أعدائهم [خروج 17: 8-16، تثنية 25: 17-19].

وبعد قرون من تلك الحادثة، وتفرّغ الإسرائيليين من أعدائهم؛ جاء الأمر للنبي صموئيل بإبادتهم، بقيادة الملك شاول: [2هذا ما يقولُ الرّبُّ القديرُ: تَذكَّرتُ ما فعَلَ بَنو عَماليقَ بِبَني إسرائيلَ حينَ خرَجوا مِن مِصْرَ، وكيفَ هاجموهُم في الطَّريقِ، 3فاَذهَبِ الآنَ واَضرِبْ بَني عماليقَ، وأهلِكْ جميعَ ما لهُم ولا تَعفُ عَنهُم، بلِ اَقتُلِ الرِّجالَ والنِّساءَ والأطفالَ والرُّضَّعَ والبقَرَ والغنَمَ والجمالَ والحميرَ] 1صموئيل 15.

وإذا كان دخول أرض كنعان حصل في عام 1406 ق.م، وشاول تقلد الملك عام 1050 ق.م، أي: - بعد ذلك بنحو ثلاثمائة عام - قام شاول بحملة تطهير

عرقي لطرد العمالقة بسبب جدودهم السابقين[39].

وبهذا تعلم حجم شدة العقوبة التي قدمها الإسرائيليون لأحفاد العماليق.

نعم قد أحسن الإسرائيليون للقينيين الذين عاشوا بين عماليق، حيث طلبوا منهم الخروج من بينهم، وذلك لأن أجداد القينيين أحسنوا للإسرائيليين عند خروجهم من مصر.

ويظهر من النصوص السابقة تطبيق المبدأ التوراتي: تحميل الإسرائيليين خطيئة الآباء على الأبناء، حيث إن الذين قاموا بالعدوان على بني إسرائيل هم أجداد ذلك الجيل، وكان العقاب واقعا على الأبناء منهم، طبقا للمبدأ التوراتي: [5...لأَنِّي أنا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ غيورٌ أعاقِبُ ذنوبَ الآباءِ في الأبناءِ إلى الجيلِ الثَّالثِ والرَّابعِ مِمَّنْ يُبغِضونَني، 6وأرحَمُ إلى ألوفِ الأجيالِ مَنْ يُحِبُّونَني ويعمَلونَ بوصاياَيَ] خروج 20، ونحوه في [خروج 34: 7، عدد 14: 18، تثنية 5: 9].

- مذبحة الموآبيين:

لقد حدث للموآبيين، ما حدث للعماليق. فهذا النبي المشهور «أليشع» يخبر الإسرائيليين بوعد الله لهم: [18فهوَ سَيُسَلِّمُ الموآبِّيِنَ إلى أيديكُم 19فتَهدِمونَ كُلَ مدينةٍ مُحَصَّنةٍ ومُختارةٍ، وتقطعونَ كُلَ شجرَةٍ مُثمِرةٍ، وتردِمونَ كُلَ عينِ ماءٍ، وتطمِرونَ كُلَ حقلٍ خصْبٍ بِالحجارةِ] 2ملوك 3، وهو ما تم فعله واقعا، كما في [2ملوك 3: 24-26].

وختاماً: لقد أثّرت هذه القوانين الحربية على عقلية الشعب الإسرائيلي؛ إذ مورست مثل هذه الإبادات بين الإسرائيليين أنفسهم، فوقعت حوادث لهم تدفع اللبيب للتفكير مليا في تلك الأنظمة الحربية. لقد جرت في إسرائيل عدد من الحروب الأهلية الدموية، لكنها حدثت في أزمنة سيطرة ملوك خُطاة كما يصفهم العهد القديم، إلا أن الغريب أن بعض هذه الحوادث كانت بأيدي أناس معظَّمين عند الله، أو على الأقل لم يُبد الكتاب المقدس استهجانا لها. ويمكن مراجعة مواطنها من العهد القديم، ومنها:

القاضي الإسرائيلي جدعون، وإبادة الإسرائيليين: [قضاة 8: 1-16]، ومنها مذبحة القبائل الإسرائيلية لسبط بنيامين في قصة من أغرب القصص الحربية الأهلية، وأكثرها إثارة [قضاة 19: 1- 21: 24][40].

(39) الإنجيل والحضارة دعوة لتجديد الحضارات، للقس صموئيل حبيب ص (58).

(40) يعلق «جوناثان كيرتش» في كتابه: حكايا محرمة في التوراة ص (284-285). على النتائج الوحشية لهذه الحرب الإسرائيلية التي جاءت في كتاب إلهي، ويتعجب قائلا: «بمثل هذه الوسائل الوحشية أمكن استعادة وحدة إسرائيل، وجعل كل شيء حسنا مرة ثانية.... إن العدوان الحقيقي هو أن عشرة آلاف رجل وامرأة وطفل، ذبحوا، واستعبدت جنسيا مئات الفتيات. طالما كانت دائرة الإثم والرغبة في إسرائيل قد=

وختاما: هـذه المـذابح احتـل الحـديث حولهـا في العهد القديم اليهودي صفحات طويلة، لسنا في حاجـة لإيرادها، إلا أن اللافت للنظر أنـا لا نجـد في نـصوص اليهودية المقدسة التي تحدثت عن الحرب بشكل مطـوّل أية إشارات تتعلق بالعنايـة بالمـدنيين، بـل عـلى عكـس ذلك؛ نرى في عـدد مـن صـفات تلـك الحـروب القيـام باستهداف قتل المدنيين من النساء والشيوخ والأطفـال، وتشريع ذلـك قانونـا، وسيـشار إلى ذلـك - أيـضا - في المبحث القادم: أسرى الحرب.

ويؤكد «البرتو دانزول» في دراسته حول المواقـف اليهودية الدينيـة مـن الآخـرين إلى أن «إبـادة الـشعوب الكنعانية... كان لها طابع أسطوري. يبدو هـول الإبـادة قد انحصر في ماض تامّ... إن منطق الإبـادة اسـتطاع أن يجتاز القرون؛ لتصنع ذهن الإنسان، وتجعلـه يقبـل غـير المقبول. إذ أسطورة الإبادة غير زمنية مرجعيتهـا الدينيـة تسمح بتلك اللازمنية...

إلى زمن المسيح الذي عدّل الرسالة، كان يجب عـلى اليهودي أن يعتبر أن هناك شعوبا يجب إبادتهـا، وأن القتـل الجماعي ليس مرفوضا في حد ذاته، وأنه يوجد هناك إبادات جماعية صالحة وعادلة: إله التوراة لا يُخطئ أبدا!»[41].

***

المبحث الرابع

أسرى الحرب

عندما نوازن بـين الإسـلام واليهوديـة، نجـد أن الإسلام وضع تشريعات واضحة تتعلق بأسرى الحرب، بينما لا نجد في اليهودية - مـن خـلال العهـد القـديم - ذلك الوضوح في هذه المـسألة، بـل لـيس فيهـا وضـوح أصلا.

ومع كوني أفضّل في دراسات مقارنـات الأديـان استبعاد أسلوب الانتقائيـة لـلآراء؛ إلا أن في الحقيقـة لا يمكـن أن تجـد عنايـة أو اهتمامـا بـشؤون الأسرى في اليهودية، بل على العكس من ذلك في غالـب الأحيـان. ومع كثـرة الحـروب التـي تحـدث عنهـا العهـد القـديم اليهودي؛ فإنك لا تكاد تجد حديثا حول تعامل إنساني - كالذي مر معنا في الإسلام- مع الأسرى بصفة عامة.

ونـشير هنـا - ومـع نـدرة النـصوص في هـذا الموضوع- إلى وجود بعض الاسـتنباطات التـي لا تخلـو من تكلّف في شأن الإحسان إلى الأسرى، صـدرت مـن عدد من اللاهـوتيين، ونظـرا إلى عـدم وجـود نـصوص صريحة؛ فقد أصبحت الإشارة للتمثيل على الإحسان إلى الأسرى تنحصر في مسألة من أراد الزواج بإحدى نـساء السبي، والأحكام المتعلقة بذلك. وهنا نورد النص حتى يُعلم أن هذه المسألة ليس لها علاقة مباشرة بما نحن فيـه: [10إذا خرَجتُم لِمُحاربةِ أعدائِكُم، فأسلَمَهُمُ الرّبُّ إلهُكُم

=أحرزت نوعا من الانشطار الأخلاقي».

(41) اليهودية والغيرية، ألبيرتو دانزول ص (149-150).

إلى أيـديكُم فـسَبَيتُم مِـنهُم سَـبْيًا، 11 ورأى أحـدُكُم في الـسَّبْي اَمـرَأَةً جميلَـةَ المَنظَـرِ فتَعَلَّـقَ بِهـا قلبُـهُ وتزَوَّجهـا 12 فحـينَ يُـدخلُها بَيتَـهُ يَحلِـقُ رَأسَـها ويُقَلِّـمُ أظفارَهـا 13 وينزِعُ ثيابَ سَبْيِها عَنها، وتُقـيمُ في بَيتِـه تبكـي أباهـا وأمَّها شهرًا، وبَعدَ ذلِكَ يدخلُ علَيها ويكونُ لها زَوجـا، وهي تكونُ لَه زوجةً. 14 وإنْ أرادَ مِنْ بَعدُ أنْ لا يحـتَفِظَ بِها، فعلَيهِ أنْ يُطْلِقَها حُرَّةً ولا يَبيعَها بِمالٍ ولا يستَعبِدَها، لأَنَّهُ أجبَرَها على مُضاجعَتِهِ] تثنية 21.

ومـع أن الـنص لا يوجـد فيـه قـانون واضـح في معاملة الأسرى، سوى ما يتعلق بأحكام الزواج؛ إلا أنـه كثيرا ما يُشار له في عدد مـن الموسـوعات، بأنـه مطالبـة بمعاملة الأسرى معاملة إنسانية[42]، ولا عجب من كثـرة الإشارة له، نظرا للفقر الذي تعانيه النـصوص اليهوديـة المقدسة في أحكام الإحسان للأسرى.

كما أن هناك نموذجـا آخـر، وهـو النبـي أليـشع عندما طلب من الملك الإسرائيلي عدم قتـل الأدوميـين، بل طالبه بالإحسان لهم، وإطعامهم، وإطلاق سراحهـم [1ملوك 20: 22-23] وسيأتي ذكره قريبا.

وعند الرجوع للحقبة التاريخية التي كـان يعـيش فيها بنو إسرائيل، يتبين أنها كانت تعاني من مجازر حربيـة بشعة. فلم يكن غريبا أن تحـرق المـدن، أو يُقتـل البـشر، وكان هذا الواقع منتشرا بين مختلـف الـشعوب في تلـك الفترة.

مصير الأسرى في الحروب الإسرائيلية:

نحن هنا لسنا بصدد تحليل أحكـام الأسر، وإنـما الحديث هنـا ينـصب عـلى مـصير حيـاة الـشعوب بعـد احتلال الجيوش لها، كيف كان التعامل معها، ومـا آلـت إليه؟

يؤكـد بعـض «علـماء اللاهـوت» أنـه لم يـك في إسرائيل عادة قتل الأسرى، إلا عندما يُنزل الله التحـريم [القتل] بقوم، أو في حالات خاصة[43].

وهذا الكـلام غـير صـحيح مطلقـا، ومُعـارَض بحقـائق تُخالفـه، والتعامـل مـع الأسرى - مـن خـلال عرض النصوص اليهودية المقدسة - لـيس فيـه «أوامـر تشريعية» واضحة، بل هو مختلف تماما بين زمـن وآخـر، وإن كان الحديث في الجملة عن حقوق الأسرى لا يوجد له ذكر في تلك النصوص.

تذكر «دائرة المعارف الكتابية» أن «التعامـل مـع الجانب المهزوم في حـروب إسرائيـل لم ينحـدر إلى تلـك الدرجة من الوحشية والهمجية التي تميزت بها الحـروب الأشورية، إلا أننا نجد أمثلـة للإفـراط في القـسوة عـلى

(42) راجع: دائرة المعارف الكتابية، مادة (أسر - أسير)، وقد أحالت بطريق الخطأ على [تثنية 20: 14]، قاموس الكتـاب المقـدس، مادة (أسير).

(43) راجع حاشية المعلقين على: ط. المشرق للكتاب المقدس، عـلى: (2ملوك 6: 24) ص (688).

الأسرى والمهزومين»[44].

ولو نجا الأسير من القتل، فلربما وقع في إذلال يصل لحد أن توطأ رقبته بالأقدام، إمعانا في الإذلال، كما صنع يشوع عليه السلام مع ملوك كنعان [يشوع 10: 24].

كما نجد في التاريخ الإسرائيلي الحربي في العهد القديم مظهراً وحيداً ذُكر فيه عفو عن أسرى، لكنها قليلة لا تكاد تُذكر في مقابل ما تم تطبيقه على الأسرى، ومن أبرز المواقف الذي تظهر فيه روح الرحمة بالأسير؛ قصة النبي أليشع، عندما شاوره الملك الإسرائيلي في قتل أسرى الأراميين: [22فأجابَ أليشَعُ: لا، إنْ كُنتَ لا تقتُلُ الذينَ تأسُرُهُم بِسَيفِكَ وقَوسِكَ، فكيفَ تقتُلُ هؤلاءِ؟ قدِّمْ لهُم خبزًا وماءً لِيأكُلوا ويشرَبوا، ثُمَ ينصَرِفونَ إلى سيِّدِهِم. 23فهَيَّأَ المَلِكُ لهُم مأْدُبَةً عظيمةً، فأكلوا وشرِبوا، ثُمَ أطلَقَهُم فرَجعوا إلى سيِّدِهِم. واَمتَنَعَ الآراميُّونَ عَنْ غَزْوِ أرضِ إسرائيلَ مِنْ بَعدُ] 2ملوك 6.

يرى بعض اللاهوتيين[45] في تعليقهم على النص أن قول أليشع: [إن كنت لا تقتل الذين تأسرهم بسيفك...] يدل على أن العادة لم تكن قتل الأسرى المستسلمين، وهو يدل على أن القاعدة العامة لم تكن قتل الأسرى. ويؤكدون ذلك الرأي بقول الجنود الأراميين [13... سَمِعْنا أنَّ مُلوكَ إسرائيلَ رُحَماءُ] 1ملوك 20.

عموما نرى الموقف من أليشع في العفو عن العدو، وكيف أنه استمال قلوبهم به، أنه تطور في مفهوم الحكم على الأسرى. لكن الحقيقة أن هذه القصة ليس فيها إلا أن أليشع أقام معاهدة سلام مع الملك الأرامي. فالصورة ليست واضحة هنا. فإذا ما أضفنا لذلك عددا من الشواهد في قتل الأسرى، وهي متوافرة، تحطم التعميم بعناية الإسرائيليين بأسراهم.

بعض صور قتل الأسرى في العهد القديم:

لم يكن حال الأسرى واحدا في إسرائيل -كما ذُكر سابقا- فأحيانا كثيرة كانوا يقتلون، ويدل عليه النصوص المتوافرة حول الإبادات الجماعية للرجال والنساء والأطفال، التي سبق أن ذكرنا منها نصوصا وفيرة في المبحث الثالث. فهؤلاء ليسوا إلا أسرى في الحقيقة، وتم إبادتهم تماما في كثير من الحروب الإسرائيلية القديمة، وبأوامر توراتية مقدسة تُشرّع ذلك.

ويظهر أن الخطأ يكمن في التصوّر بأن مفهوم الأسير ليس إلا الذي ينجو من القتل في أرض الحرب، وهو مفهوم قاصر. ولذلك ينص بعض اللاهوتيين أن الإسرائيليين كانوا يؤمرون بقتل أسرى كنعان، بناء على تعليمات الله[46].

(44) راجع: دائرة المعارف الكتابية، مادة: (حرب) 7-الهزيمة والنصر.

(45) التاريخ الاشتراعي، للخوري بولس الفغالي ص (493).

(46) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، إعداد: جماعة من اللاهوتيين، (على: قضاة 1: 6) ص (479).

وأورد هنا أيضا أمثلة تطبيقية في الحروب الإسرائيلية عبر تاريخ الدولة اليهودية، وهي أفعال قد صدرت من أُناس يُصنفهم الكتاب المقدس اليهودي بأنهم صالحون، ولو تحدثنا عن كل المواقف لطال الكلام.

سبق إيراد مثال وحيد في العفو عن الأسرى، عندما شفع فيهم النبي «أليشع»، لكن هذا الموقف الوحيد الذي يُستدل به كثيرا، يخالفه أمثلة متوافرة في التنصيص على قتل الأسرى.

فهذا «أمصيا بن يواش» ملك مملكة يهوذا الذي يذكر العهد القديم أنه يعمل في تلك الفترة من حياته ما هو قويم في نظر الرب [2أخبار25: 2]، لما حارب بني سعير من الأدوميين قتل كل أسراهم، وكان عددهم عشرة آلاف أسير [2أخبار 25: 12].

كما يذكر العهد القديم حرب داود مع الموآبيين، وكانت حرباً شرسة، ولكن ماذا كان مصير أسراهم؟ لقد [2تغلَّبَ على الموآبيِّينَ ومـدَّدَ أسراهُم على الأرضِ وقاسَهُم بالحَبلِ. فقَتَلَ منهُم ثُلثَينِ وأبقى على الثُّلثِ، وصارَ الموآبيُّونَ عبيدًا لَه يُؤدُّونَ الجزيَةَ] 2صموئيل 8.

ويذكر سفر القضاة بعض أعمال التنكيل بالأسرى. ففي حروب إسرائيل للكنعانيين، وكيف هزموهم: [6فهربَ أدوني بازَقُ، فلَحِقوا بهِ وقبَضوا علَيهِ وقطَعوا أباهِمَ يَديهِ ورِجليهِ 7فقالَ أدوني بازَقُ: إنَّ سبعينَ مَلِكًا قطَعتُ لهُم أباهمَ أيديهِم وأرجُلِهِم كانوا يَلتَقِطونَ فُتاتَ الطَّعامِ تَحتَ مائدَتي. فكما فعَلتُ عاقبني الله] قضاة 1.

فشريعة المثل يطبقها الشعب الإسرائيلي على ملك مدينة بازق: أدوني، وهذا القطع -كما يعبر البعض- تظهر فيه عدالة الله[47].

ويعلق وليم مارش بأن اليهود لم يكن عندهم هذا العقاب الفظيع، وأن سبب فعلهم هذا هو عقوبة أدوني على ما فعل بسبعين ملكا بمثل هذه العقوبة[48].

لقد كان أدوني وثنيا يستحق الموت، وكانت شريعة التوراة تأمر بقتله وقتل غيره من أهل كنعان الوثنيين[49]. صحيح أنهم لم يقتلوا أدوني، وقد ذكر النص أنه مات في أورشليم لما رجعوا به إليها، لكن بدون ذكر

(47) راجع: التاريخ الاشتراعي، للخوري بولس الفغالي ص (149). وتجد نحو هذا التأييد في: قاموس الكتاب المقدس، مادة (أدوني بازق).
وعندما نقرأ هذه التعليلات من علماء اللاهوت في تبرير هذا التقطيع لأعضاء الأسرى، نتذكر هنا قول الإمام القرطبي، من أن «كفر الكافر لا يمنع العدل عنه، وأن يُقتصر معهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المُثلة [التمثيل بجثث الأموات] بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمّونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم» الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (6/ 110).

(48) السنن القويم (3/ 188).

(49) التفسير التطبيقي على قضاة (1: 6) ص (478).

سبب موته! وقد يكون بفعل تقطيع أعضاء جسده.

***

خاتمة البحث:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

ففي ختام هذه البحث، يسرني أن ألخص للقارئ أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات:

1- الحديث عن الحرب اليهودية من خلال الخلفيات الدينية يُعد أمرا ضروريا في تفسير التصرفات اليهودية المعاصرة ضد أعدائهم.

2- في دراستنا للحرب اليهودية لا بد أن نفرق بين حديث القرآن عن جهاد أنبياء إسرائيل في سبيل الله، وبين ما يقصه علينا العهد القديم اليهودي، فالأول محل تصديق وإيمان كامل عند المسلمين، وأما الثاني ينطبق عليه الموقف من شريعة أهل الكتاب، فما وافق الإسلام فحق، وما ناقضه فباطل، وما سكت عنه لا نصدقه ولا نكذبه.

3- لقد كانت الحروب اليهودية لدخول أرض كنعان حروبا هجومية، على خلاف الفكرة التي يريد بعض اللاهوتيين أن يُروج لها بأنها كانت دفاعا عن النفس.

4- تتمثل الغايات التي حكمت الحرب اليهودية في جانبين، الأول: الحرب على الوثنية، والثاني: الإحساس بتّملك اليهود لأرض فلسطين وما حولها استنادا لهبة الله لهم هذه الأرض.

5- لا نجد في التعاليم الدينية الإسرائيلية أي دعوة للقوات الإسرائيلية لعرض الدين على الشعوب الأخرى أثناء الحروب.

6- كان لإحساس اليهود بالاصطفاء الإلهي لهم أثر كبير في عدم تقبّل المهتدي الجديد بصورة كاملة في الديانة اليهودية، مع العلم أن اليهودية لا تُمانع من دخول المهتدين إليها، ولكن يحوم حولهم عدد من القيود التي تجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية.

7- يمكن أن نوجز الخيارات الحربية في جانبين، الأول: أن تكون البلدان بعيدة من أرض إسرائيل، وهؤلاء يُعرض عليهم الاستسلام والعبودية، وفي حال الرفض يكون مصير الذكور القتل دون النساء والأطفال، الذين سيكونون سبيا.

أما الأمم القريبة من أرض إسرائيل فلا خيار سلمياً لهم، ومصير الذكور والإناث والأطفال القتل الجماعي. وهو الأمر الذي تم تطبيقه مرارا في حروب إسرائيل.

8- تقر النصوص المقدسة اليهودية إباحة أرواح الأمم الأخرى غير اليهودية أثناء الحرب، وتأمر بشكل صريح بإقامة المذابح الجماعية لجميع الأعداء الذي يُحاربون جيش إسرائيل.

9- مع كثرة القصص الحربية في العهد القديم اليهودي؛ إلا أننا لا نجد تنظيمات أخلاقية في خوض الحرب والموقف من غير اليهود، كما لا نجد تنظيمات واضحة حول أسرى الحرب.

10- كانت التعاليم التوراتية تأمر بعدم استبقاء أسرى الحرب من الرجال خاصة، بخلاف النساء الذين سيصبحون عبيدا لليهود.

11- توصي الدراسة أن تقوم دراسات الأديان على وجود مقارنات علمية تتحدث عن جوانب الحياة المعاصرة، كقضايا السلام والحرب وغيرها من القضايا التي تُهم الرجل العادي، وليس المتدين فقط.

12- توصي الدراسة بمحاولة جمع الفتاوى اليهودية المعاصرة في الموقف من غير اليهود، ومحاولة ربطها بالتعاليم الكتابية، لمعرفة مدى الالتزام اليهودي بتعاليم الكتب المقدسة عندهم.

***

قائمة المصادر والمراجع

فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر، علي. تحقيق: عبدالعزيز بن باز، وآخرون. د. ط.، بيروت: دار المعرفة، د. ت.

صحيح البخاري (الجامع الصحيح). البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: مصطفى البغا. ط2، دمشق: دار ابن كثير، 1407هـ.

«**قراءة أخلاقية للكتاب المقدس**». بريور، مايكل. ترجمة: فراس السواح. ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر الدولي لتاريخ أورشليم عمان/ الأردن أكتوبر 2001م. على موقع: (ألف):

8A%D3%9http://www.aleftoday.info/?view=article&catid=8D%7A%8D%3B%8D%7A%8D%1B%8AF%D%1&tmpl=component&print=129AA&id=%1&page=&option=content&mid=

الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان. بسيوني، محمود. ط2، القاهرة: دار الشروق، 1426هـ/ 2005م.

قاموس الكتاب المقدس. جماعة من اللاهوتيين العرب. ط13، القاهرة: مكتبة العائلة، 2005م.

الكتاب المقدس (كتاب الحياة). جماعة من اللاهوتيين. د. ط، القاهرة: شركة ماستر ميديا، د. ت.

الكتاب المقدس (الترجمة العربية المشتركة). جماعة من اللاهوتيين. جمعية الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصدار الثاني، ط4، لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1995م، والعهد الجديد، الإصدار الرابع، ط 30، لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1993م.

الكتاب المقدس، (ترجمة الفان دايك). جماعة من اللاهوتيين. ط2، مصر: دار الكتاب المقدس، 2004م.

الكتاب المقدس، أي: كتب العهدين القديم والجديد (الترجمة الكاثوليكية= الآباء اليسوعيين). جماعة من اللاهوتيين. ط7، بيروت: دار المشرق، 2004م.

دائرة المعارف الكتابية. جماعة من اللاهوتيين. د.ط، مصر: دار الثقافة، 2001-2005م.

الإنجيل والحضارة دعوة لتجديد الحضارات. حبيب، صموئيل. ط1، مصر: دار الثقافة، 1997م

المسند. حنبل، أحمد بن عبدالله. د. ط، بيروت: المطبعة الميمنية، ونشر دار صادر، د. ت.

اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية. دانزول، ألبيرتو.

ترجمة: ماري شهرستان. ط4، سورية: الأوائل للنشر، 2004م.

وحي الكتاب المقدس. رياض، يوسف. ط4، د. م: د. ن، 2005م.

التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلآف سنة. شاحاك، إسرائيل. ترجمة: صالح سوداح، ط1، لبنان: بيسان للنشر، 1995م.

التفسير الحديث للكتاب المقدس: التثنية. طومسون، ج. أ. ترجمة: جاد المنفلوطي، ط1، القاهرة: دار الثقافة، د. ت.

الحرب المشروعة في الأديان. عبد الوهاب، أحمد. د. ط، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 2000م.

التاريخ الاشتراعي. الفغالي، بولس. ط1، لبنان: المكتبة البولسية، 1992م.

وجه الإنسان وكلام الله، مجموعة محاضرات. الفغالي، بولس. (كتاب الكتروني من موقع: مؤلفات وأعمال الخوري بولس فغالي www.paulfeghali.org).

المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم. الفغالي، بولس. ط1، بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدس، 2003م.

تفسير انطونيوس فكري. فكري، أنطونيوس. نسخة إلكترونية على موقع كنيسة السيدة العذراء بالفجالة: www.smcfag.org/HTML/frantony.htm

التفسير المعاصر للكتاب المقدس. فليمنج، دون. ط1، القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدبارة، 2004م.

الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي». القرطبي، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني. د. ط، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م.

معجم المصطلحات القانونية. كابيتان، هنري. ترجمة: منصور القاضي. ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1998م.

الحرب في الكتب المقدسة. كامل، نجوى عمر. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2001م.

حكايا محرمة في التوراة. كيرتش، جوناثان. ترجمة: نذير جزماتي. ط1، دمشق: نينوى للدراسات والنشر، 2005م.

كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس. لوكير، هربرت. ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح. ط3، القاهرة: دار الثقافة، 2005م.

السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم. مارش، وليم. د.ط، بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973م.

مذكرات على سفر التثنية. ماكنتوش، تشارلز. ط4، مصر: مكتبة الإخوة، 2007م.

تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين. المسكين، متى. ط2، مصر: دير القديس أنبا مقار، 2003م.

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المسيري، عبدالوهاب. ط1، القاهرة: دار الشروق، 1999م.

من تفسير وتأملات الآباء الأولين. ملطي، تادرس يعقوب. د.ط، القاهرة: مكتبة مارمرقس، د.ت.

صحيح مسلم. النيسابوري، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، استانبول: المكتبة الإسلامية، د.ت.

كتاب الحياة (ضمن التفسير التطبيقي للكتاب المقدس). وهبة، وليم وآخرون. د. ط، القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997م.

معجم اللاهوت الكتابي. اليسوعي، كزافييه ليون. ط5، بيروت: دار المشرق، 2004م.

* * *